الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح

ورقـــــلـــة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مبادئ الانسجام في الفكرين البلاغي والنقدي

من خلال : إعجاز القران لأبي بكر الباقلاني ومنهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص: البلاغة والأسلوبية

إعداد الطالبة :
فاطمة الزهراء محلو

إشراف أستاذ التعليم العالي :
أحمد بلخضر

اعضـــاء اللجنة المنـــاقشة			
أ.أحمد موساوي	أستة تعليم عالي	جامعة قاصدي مرباح- ورقلة	رئيـــسا
أ.أحمد بلخضر	أستة تعليم عالي	جامعة قاصدي مرباح- ورقلة	مشرفـا ومقررا
د.عمر بن طرية	أستة محاضر	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة	عضوا مناقشا
د.مباركة خمقاني	استة محاضر	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من

لساني يفقهوا قولي﴾

صدق الله العظيم

وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما

الإهداء

إلى أمّي وأبي أعزّهما اللّه وأكرمهما .

إلى شذا فؤادي وزهرتي حياتي، طفليّ: هناء ومعاذ

إلى زوجي.

إلى أختيّ العزيزتين وإخوتي الكرام.

أهديكم ثمرة جهدنا .

شكر وعرفان

أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أستاذي المشرف أ، د: أحمد بلّخضر، الذّي كان معي نعم الموجّه في سبيل الرقيّ بهذا العمل.

كما أشكر من ساعدني و شدّ أزري، وتحمّل معي مطبّات هذا العمل، أهلي الكرام.

كما أتقدّم بامتناني إلى كلّ من أسعفني بملاحظة أو مرجع.

المحتويات

فهرس المواضوعات

المقدمة	ل.ع
الفصل التمهيديّ	44.18
1.مفهوم الانسجام النصّي ومعاييره	18
أ.معايير الانسجام الصّوتيّة	20
ب.معايير الانسجام التّركيبيّة	20
1 . النحوية	23
أ.الإحالة	23
ب ـالاستبدال	27
ج.الحذفُ	28
د ـالوصل	30
2 ـالمعجميّة	31
أَ ـالتّضام	31
بَ. التّكرار	32
3 .معايير الانسجام الدّلالي	32

أ.السياق	32
ب.التأويل المحلّي	35
ج.التّغريض	37
د.ترتيب الخطاب	38
هـ.موضوع الخطاب(البنية الكلّية)	38
و.زمن(النص/الخطاب).	39
2.الانسجام في البلاغة	42
3.الانسجام في النّقد	43
الفصل الأول مبادئ الانسجام في الفكر البلاغيّ العربي التّراثيّ	92-46
1.مبادئ الانسجام الصّوتيّة	46
أ.الإيقاع	47
ب. الإبدال اللغويّ	48
ج. النبر	50
د. التنغيم	55
2.مبادئ الانسجام التركيبية	56

أ.المبادئ النّحويّة	62
.الفصل والوصل	62
.الحذف	63
ب.المبادئ المعجميّة	64
.التّضام	64
.ردّ العجز على الصّدر	66
.التّكرار	67
3.مبادئ الانسجام الدلاليّة	70
أ.المقام	70
ب.التّشبيه	76
ج.المجاز	79
د.الكناية	92
الفصل الثاني مبادئ الانسجام في اعجاز القرآن للباقلاني	121–92
1.القاضي أبو بكر الباقلاني	96
أ–أصله ونسبه	96
ب–تكوينه العلمي والثقافي	97
ج–أهم مؤلفاته	98
2–كتاب إعجاز القرآن	99

أ. شكله ومضمونه	99
ب. منهجه:	99
1. المنهج العام	99
2. المنهج الخاصّ	103
3. مبادئ الانسجام المبثوثة فيه	105
ا–مبادئ الانسجام الصوتيّة	107
1– التناغم	107
2– الاعتدال في الحروف	108
ب–مبادئ الانسجام التركيبيّة	109
1– الفصل والوصل	110
2– الايجاز	110
3– الابدال	111
ج– مبادئ الانسجام الدلاليّة	112
1– انسجام الائتلاف و الاختلاف	112
2– انسجام الأغراض المختلفة	116
3– العلاقات الدلالية	118
أ. الإجمال والتّفصيل	118
ب. ردّ عجز الخطاب إلى صدره	119

خلاصة	120
الفصل الثالث مبادئ الانسجام في الفكر النقدي العربي التراثي	**132–121**
1. مبادئ الانسجام الصوتيّة	121
2. مبادئ الانسجام التركيبية	122
3. مبادئ الانسجام الدلاليّة	124
الفصل الرابع : مبادئ الانسجام في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني	**159–135**
1. أبي الحسن حازم القرطاجنّي	135
أ- أصله ونسبه	135
ب- تكوينه العلمي	135
ج- أهم مؤلفاته	136
2. كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء	136
أ. شكله ومضمونه	137
ب. منهجه	137
1. المنهج العام	138
2. المنهج الخاصّ	139

3 مبادئ الانسجام المبثوثة فيه	140
أ- مبادئ الانسجام الصوتيّة	141
ب-مبادئ الانسجام التركيبيّة	142
ج-مبادئ الانسجام الدلاليّة	143
خلاصة	144
الخاتمة	147
قائمة المصادر والمراجع	150
فهرس الموضوعات	158

المقدّمة

باسم الله الواحد الأحد، جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه، باسم الذّي سبّحت بحمده الفلك والشّهب، باسم الذي أشرقت الأرض والأنام بنوره، باسم الأوّل والآخر في ملكه، سبحانك مولاي، والصّلاة على النبيّ الأميّ سيّد الأنام وأزكى السّلام.

وبعد:

يعدّ الانسجام أساس استمرار الحياة الكونيّة بجميع مقوّماتهما، ووقوع أيّ خلل في النّظام التّركيبيّ الكونيّ، يحدث بترا في عناصر هذا الانسجام، ممّا سيوقع ما لا يحمد عقباه.

فالانسجام واقع ومهمّ من أجل سلامة سيرورة الحياة في وظائفنا ، في حياتنا الشّخصيّة، في محيطنا التّواصلي، في معاملاتنا، في دراساتنا ،في تربيتنا، وممّا لاشكّ فيه في خطاباتنا، إذ يعدّ فعل التّخاطب، ميزة وسمة وسمها ووهبها وخصّ بها المولى سبحانه الإنسان عن غيره من المخلوقات، يقول سبحانه وتعالى في سورة الرّحمان: ﴿**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ صدق اللّه مولانا العظيم.

فتحقّق الانسجام في الخطاب الإنساني البشريّ شرط لا بدّ منه لنضمن سلامة ووضوح هذا الخطاب لدى المتلقّي أو السّامع، وهوّ ما دفع المفكّرين والدّارسين الغربيين المحدثين إلى وضع شروط أو أسس يتمّ من خلالها التّمكّن من إعداد نصّ أو خطاب منسجم متلاحم في جميع عناصره سواء منها الصّوتيّة، التّي تعنى بأدقّ جزئيات الخطاب، من حروف وحركات وإيقاع...

أو التّركيبيّة التّي تحتوي الجمل والمقاطع الكلاميّة والنصّ برمّته.

والدّلاليّة التّي تعنى بالبنية التّجريديّة الإدراكية لخطاباتنا.

ومادامت الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة لمفكّرينا، خاصّة البلاغيّون والنّقّاد منهم، الذّين نشهد لهم باهتمامهم وغيرتهم على لغتهم العربيّة، وشغفهم بها والوقوف على كلّ ما يضمن تميّزها وجودة صياغاتها. كانت شديدة الحرص على الرقيّ بالنصّ الشعريّ والنّثريّ على السّواء من خلال ملاحظات تنمّ عن حسّ وذوق أدبيّ، وتطوّرت ملاحظات علمائنا الأجلّاء

بعد نزول القرآن الكريم الذّي أبهرهم بانسجام كليّاته وجزئيّاته، من خلال تعميم ملاحظاتهم حول سبيل الانسجام النصّي من جزئيّات النصّ إلى كليّته.

وسنحاول في هذا الموضوع رصد أهمّ الملاحظات العربيّة التّي تكتسي ملامح الانسجام النصّي في الفكرين البلاغي والنّقدي العربيّين وهل ألمّت هذه المبادئ بجميع مستويات النصّ الأدبيّ العربيّ؟ وهل تضمّنت هذه المبادئ على معايير النصيّة كما هي عند علماء النصّ الغربيّين؟ وأيّ من الفكرين البلاغي أم النّقدي كان أقرب إلى بناء تصوّر شامل حول الانسجام النصّي؟

وبناءا على هذه التّساؤلات بنينا هدفنا في الكشف عنها من خلال اختيار هذا الموضوع، حيث رأينا في أنفسنا أسبابا دفعتنا إلى الخوض في هذا الاستكشاف والتّي كان منها :

. تعلّقنا بظاهرة الانسجام، وذلك لأهميّتها كما أشرنا سابقا في سائر مجالات الحياة.

. رغبتنا في التّأصيل وإثبات السّبق للجهد العربيّ في مجال اللّسانيّات النصيّة، رغم تباين الفترة الزمنية بين علمي (البلاغة والنّقد) وعلم النصّ وتباين مجال وطبيعة الفكر لديهم.

. علمنا من خلال اطّلاعنا سابقا على كلّ من كتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني وكتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي، إحتواء هذين الأخيرين على إشارات في باب الانسجام تصلح لأن تكون مدوّنة لموضوع الانسجام.

ومن الدّراسات الأقرب إلى مجال دراستنا :

رسالة دكتوراه: (الانسجام في القرآن الكريم . سورة النّور نموذجا) لنوال لخلف.

ورسالة ماجستير بعنوان (أصول المعايير النصيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب) لعبد الخالق فرحان شاهين.

أمّا رسالة الدّكتوراه فهي تعدّ قريبة من مجال دراستنا، حيث حاولت الباحثة إثبات الوعي العربيّ بظاهرة الانسجام من خلال تناولها للنّصوص العامّة التّي تعي فكرة الانسجام، وهو

ما حاولنا اتمامه بالتّركيز على جلّ النّصوص التّي تناولت ظاهرة الانسجام من جميع مستوياته.

أمّا رسالة الماجستير فقد تناولت ظاهرة الانسجام تحت مصطلحي السّبك والحبك والذّين يعتبران أحد المعايير النصيّة السّبعة التّي حدّدها روبرت دي بوجراند إلى جانب القصديّة والتقبّليّة والإعلاميّة والمقاميّة والتّناص. والتّي يجب توافرها متضافرة في أيّ ملفوظ حتّى يوسم بالنصيّة. وما يميّز عملنا عن هذه الدّراسة تصنيفنا لأدوات الانسجام إلى صوتيّة وتركيبيّة ودلاليّة وانفرادنا بمدوّنتي بحث هما كتاب إعجاز القرآن للباقلّاني بالإضافة إلى كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجنّي.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على جملة من المصادر: كان منها : "البيان والتّبيين" للجاحظ، و" نقد الشّعر" لقدامة بن جعفر، و" العمدة" لابن رشيق القيرواني إلى غير ذلك.

ومن المراجع: أهمّها "لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب" لمحمد خطابي، بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى مبثوثة في حقل دراستنا.

ومن أجل الوصول إلى هدفنا اتّبعنا المنهج الوصفي القائم على التّحليل. وذلك بتقسيم رسالتنا إلى:

أربع فصول، يتقدّمها مدخل تمهيديّ تعرّضنا فيه لمفهوم الانسجام النصّي ومعاييره في مجال لّغة الحديث. وكذا محاولة تحديد مفهومه في الفكريين البلاغيّ والنّقدي. العربيّين التّراثيّين.

وأردفنا هذا المدخل بفصل أوّل نظري عرضنا فيه "مبادئ الانسجام في الفكر البلاغيّ التّراثيّ العربي"، وفق ثلاث مستويات :

مبادئ انسجام صوتيّة والذّي صنّفنا ضمنها أهمّ المظاهر الصّوتيّة التّي اعتبرها البلاغيّون تحقّق نوعا من الانسجام أو التّوازي الصّوتي، منة إيقاع ونبر وتنغيم، كما حاولنا تصنيف أهمّ المظاهر البلاغيّة التّي تحقّق توازيا صوتيّا ايقاعيّا.

ومبادئ تركيبيّة عرضنا فيها أهمّ الآليّات التّي تتيح تحقّق الانسجام تركيبيّا، حيث قمنا بتصنيفها ضمن قسمان: نحويّة ومعجميّة.

فالمظاهر النّحويّة كان منها: الفصل والوصل، والذّي تعرّضنا له عند كلّ من العلّامة عبد القاهر الجرجانيّ وكذا السكّاكي.

ثمّ الحذف، أمّا المعجميّة فكان منها: التّضامّ، ردّ العجز على الصّدر، ثمّ التّكرار الذّي قسّمناه إلى لفظيّ ومعنويّ.

أمّا أدوات الانسجام الدّلاليّة فكان منها : المقام (السّياق)، والتّشبيه، والمجاز، الذّي قسّمناه إلى لغوي وعقلي، وأخيرا الكناية.

واتبعنا هذا الفصل بفصل تطبيقي بعنوان "مبادئ الانسجام في (إعجاز القرآن) للقاضي أبو بكر الباقلّانيّ" ،مع التّركيز على مستويات الفصل السابق (صوتي، تركيبي، دلالي)

فكان من مظاهر الانسجام الصّوتيّ عند الباقلّاني: التّناغم، الاعتدال في الحروف.

أمّا التّركيبيّة فكان منها : الفصل والوصل والإيجاز والإبدال.

وقمنا بتتبّع مظاهر الانسجام الدّلاليّة لديه فوجدناها تقوم من خلال: انسجام الائتّلاف والاختلاف، وانسجام الأغراض المختلفة، وانسجام دلاليّ من خلال علاقات دلاليّة عقليّة هيّ :الإجمال والتّفصيل، وردّ العجز على الصّدر.

ثمّ الحقنا هذا الفصل بخلاصة تحتوي نتائج علميّة حول ما قدّمنا سابقا.

ثمّ أتبعنا هذا الفصل بفصل ثالث نظري تعرّضنا فيه لـ" مبادئ الانسجام في الفكر النّقدي التّراثي العربي"، قمنا بتقسيمه وفق غيره من الفصول إلى مبادئ انسجام صوتيّة وتركيبيّة ودلاليّة حاولنا من خلالها اكتشاف الرؤية العربيّة النّقديّة حول الانسجام.

وألحقنا بهذا الفصل، فصلا تطبيقيّا رصدنا فيه "مبادئ الانسجام في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنّي" بالتّركيز على مستويات الخطاب الثّلاث:

الصّوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة.

ثمّ أجملنا جميع ما استنتجنا حول دراستنا ضمن خاتمة.

وحسب كلّ باحث فقد تخلّلت مسيرة البحث في موضوعنا سلسلة من العقبات شخصيّة منها وعمليّة حاولنا كسرها عبر الدّأب والمثابرة نحو مرامنا الذّي رسمناه، فكان من العقبات العمليّة والتّي تستدعي الوقوف عليها:

. شساعة الحقل البحثيّ العربيّ وتنوّع مواضيعه، سواء البلاغيّ منه أو النّقديّ التراثيّ والذّي حوى في ثناياه إضاءات حول موضوعنا سعينا جاهدين على الإلمام بجميع هذه الملاحظات ما استطعنا.

. عدم وجود منهجيّة محكمة في دراسة موضوعنا في التراث النّقديّ والبلاغيّ، وهو ما حاولنا تداركه بأن اتّبعنا المخطّط العمليّ السالف الذّكر.

. قلّة الملاحظات العربيّة، أوربّما اقتصارها على ملامح وجيزة خاصّة تلك المتعلّقة بمجال دراستنا.

. التّشابه الشّديد بين الملاحظات المختارة لعلمائنا العرب والتّي عنيت بموضوع الانسجام.

. احتواء الآراء العربيّة الخاصّة بالانسجام على مقاطع مهمّة حاولنا تفكيكها للوقوف على معطيات البحث العربيّ في مجال البحث اللّغويّ الحديث.

وقد كان للأستاذ المشرف كلّ الفضل في أن خرج هذا العمل في هذا النحو المرضي فله منّي خالص الشّكر والتّقدير.

وأسأل الله تعالى أن أبلغ برسالتي هذه، المرام الذّي رسمته، وأن تكون فاتحة خير لي، وإن شابها شيء من النّقص، فذاك عن تقصير منّي واللّه خير مستعان.

الباحثة: فاطمة الزهراء محلّو

الفصل التّمهيدي

1. مفهوم الانسجام النصّي ومعاييره

أ. معايير انسجام صوتيّة

ب. معايير انسجام تركيبيّة

ج. معايير انسجام دلاليّة

2. الانسجام في البلاغة

3. الانسجام في النّقد

1 ـ مفهوم الانسجام ومعاييره:

يعد الانسجام أو الحبك من أهم المواضيع التي شغلت بحوث علم اللغة النصي .وبغية الكشف عن المعنى اللغوي للانسجام قمنا بتتبع المفهوم اللغوي لهذه الكلمة:

. فقد ورد في لسان العرب لإبن منظور تحت مادة (س ج م) : "سجمت العين الدمع و السحابة الماء تسجمهُ سجما و سجوما و سجمانا و هو قطران الدمع و سيلانه قليلا كان أو كثيرا...و انسجم الماء أو الدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب ...سجم العين و الدمع الماء يسجم سجوما و سجاما إذا سال و انسجم "[1]

و كذلك ورد في القاموس المحيط :"سجم الدمع سجوما و سجاما ،ككتاب و سجمته العين و السحابة الماء.... قطر دمعها و سال قليلا أو كثيرا"[2]

ومن خلال هذا التتبّع للمعاني المتعلقة بمادة (س ج م) نجد أنها ترمي إلى القطران و السيلان و الصب، و هذه الألفاظ توحي بالتتالي و التتابع و الانتظام و عدم الانقطاع في الانحدار.

ولقد حظي مصطلح الانسجام باهتمام الباحثين النصيين أو المحللين لذا حاولنا تتبع مفهومه الاصطلاحي، فوجدناه عند "**كلاوس برينكر**" بأنه: "المفهوم النواة في تعريف النص"[3] ، ويعدّ الانسجام من العناصر الأساسية التي أشار إليها "**فان دايك**" في دراسته للعلاقة بين النص و السياق، وبالتّالي فهو يمثّل أساسا مهما من أسس

---

[1]ـ ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2003م ، مج12، ص:280

[2]ـ الفيروز أبادي : القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م، مادة (س ج م)، ص:1009-1010

[3] ـ محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005م، ص:100

البحث النصي، لكونه يختص بالاستمراريّة الدلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم و العلاقات الرابطة بينها، وعليه فهو"الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص"[1]، و هو "ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة صلة متبادلتين"[2]

إذا فمصطلح الانسجام يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص،و التي تقوم بدورها اعتمادا على المتكلمين و السياق المحيط بهم ،فهو متصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على "إيجاد الترابط المفهومي"[3] ،وكما يقول هاليداي و رقية حسن :"الانسجام علاقة معنوية بين عنصر في النص و عنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص،هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكيّة"[4] ، فهو يهتم بالروابط الدلالية المتحقّقة في عالم النصّ ، بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص.

وإذا ما أردنا بناء تصوّر علميّ له فالانسجام يعني العلاقات التّي تربط أجزاء النصّ، أو هو العمل على إيجاد التّرابط النصّي، حيث يهتمّ بالرّوابط المتحقّقة في عالم النصّ من صوتيّة وتركيبيّة ودلاليّة.

ويمكن تصنيف العناصر اللغويّة التي تساهم في تحقيق الانسجام النصّي، ضمن معايير كالآتي:

---

[1] ـ محمد عزّام ، النصّ الغائب، تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001م، ص: 48

[2] ـالهام أبوغزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكتب، نابلس،ط1، 1996م، ص :120

[3] ـ أحمد عفيفي : نحو النص، مكتبة زهراء الشّرق ، القاهرة ، ط 1، 2001م،ص :90

[4] ـ محمد خطابي،لسانيات النصّ(مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2006م، ص: 05

أ . معايير انسجام صوتيّة:

من أهمّ مظاهر الانسجام الصّوتيّ التّي عني بها علماء النصّ المحدثين الغربيّين ظاهرة التّنغيم واعتبره كلّ من **درسلر** و**دي بوجراند** وسيلة من الوسائل الصّوتيّة الرئيسيّة التّي توظّف وسائل أخرى ليتحقّق مفهوم الانسجام النصّي، وباستثناء ذلك لم يحدّد علماء النصّ عناصر صوتيّة أخرى، ولعلّ السّبب وراء ذلك عدم وجودها في لغاتهم، بخلاف لغتنا العربيّة، التّي تعتمد كثيرا على الوسائل الصّوتيّة في إفادة المعنى.[1]

ب . معايير انسجام تركيبية (اتّساقيّة):

إنّ الحقيقة التي علينا الإقرار بها هو أن الفكر الغربي هو واضع نظرية النص و التي تهدف بدورها إلى وصف و دراسة النصوص من خلال بعديها (الشكلي اللغوي و الدلالي الضّمني) و تعتبر ظاهرة "الاتّساق" أو الانسجام التّركيبي من أبرز الظواهر المتعلقة بالشكل الخارجي وهذه الأخيرة هي المتحكمة أو المساهمة في تجسد البعد الدلاليّ، من خلال تضافرهما لتحقيق التماسك الكلي للنص (الانسجام) ومن هذا المنطلق شغل التماسك أو الاتساق مساحة شاسعة في التفكير الغربي و البحث اللساني آن ذاك حيث حظي باهتمام كبير من قبل علماء النص بدءا بمفهومه ، وكذا تبيين أدواته ووسائله.

وإذا ما قمنا بتتبع مفهوم الاتساق في المعاجم العربية نجده يحمل معنى الضمّ و الانتظام والاجتماع.

ونظرا لأهميته البالغة فإن من علماء اللغة من جعل مؤلفه يحمل هذا الاسم لعل أهمها كتاب **هاليداي** و **رقية حسن** "**الاتساق في الانجليزية**" ، وقد أكدا فيه على

[1] - ينظر، عبد الخالق فرحان شاهين (أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، قسم اللغة العربية ، جامعة الكوفة ، : ص 35

التماسك لدرجة تجعلنا نعتقد من أن النص ما هو إلا تماسك ، و يعرف الاتساق بأنه مجموعة الإمكانيات المتوافرة في اللغة و التي من شأنها أن تجعل أجزاء النص تتماسك.[1]

فهو ذلك التماسك بين الأجزاء التي تشكل النص، ويتعلّق كذلك بالوسائل اللغويّة الشكليّة التي تصل عناصر النص.[2]

- كما أنه يعني العلاقات النحوية أو المعجمية بين عناصر النص المختلفة، فمعنى الاتّساق يتعلق بالروابط الشكلية.[3]
- ويعرّف أيضا بأنّه" ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضا بوسائل لغوية معينة "[4]
- وقد عرّفه **ديفيد كريستال** بأنه الاتصالات المنطقية المقدرة للاستعمال اللغوي، ولن يتسنّى لنا ذلك إذا لم ندرس بناء النص وتركيبه والعوامل التي ساهمت في هذا البناء، والتي يطلق عليها الروابط والعلائق داخل النصوص. أين يظهر النص مجموعا والاتساق يجسد لنا وحدة أفكار هذا المجموع، فكل عمل متّسق يرتسم ويتحقق عبر وسائل بنيوية نحويّة أو معجميّة. كما لا يمكن أن يتجلّى أو يتجسّد الاتّساق إلا إذا سبقت العبارة حدوث علاقات داخلية غير بنيوية وعلاقات تحيل إلى ما فوق البنيوية النصية، وكل هذا لتحقيق وحدة النص والترابط و التماسك.

---

1 ـ ينظر محمد الشاوش :أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منّوبة، كلية الآداب، تونس،2001، مج1،ص:124

2 ـ ينظر، محمد خطابي،لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب،ص:05

3ـ ينظر،صبحي إبراهيم الفقيّ،علم اللغة النصي بين النّظريّة والتّطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د ت، ط1،ج1،ص95

4 ـ المرجع السابق،ص:96

بعد هذا العرض الموجز لأهم مفاهيم الاتساق فيما رأينا، نقول بأن الاتساق يمثل دعامة أساسية من دعائم الدّرس النصي، فهو يتّصل بالتّماسك النصيّ داخل النص، ويرتبط بالوسائل والروابط الصورية السطحية، وتتحدد مهمته في توفير عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، هذا الترابط هو الذي يخلق بنية النص،ويحقق استمرارّيته[1].

ولقد تعدّدت رؤى الباحثين الغربيين حول الأدوات التي تحقق التماسك النصي، إلا أنّ هذا الاختلاف لم يمنع من وجود وسائل رئيسية مشتركة فيما بينهم. وسنحاول عرض أهم ما قدمه الباحثون النصيّون في هذا المجال عبر إحصاء هذه الوسائل.ويعتبر من أهم و أبرز من تحدث عن هذه الأدوات هما الباحثان "**هاليداي**" و "**رقية حسن**" في مؤلفهما "**التماسك في الانجليزية**" أين قدما خمسة معايير أو أدوات، رأيا أنّها تحقق الانسجام التّركيبي و هي :

- ✓ الإحالة(Reference)
- ✓ الاستبدال (Substitution)
- ✓ الحذف(Ellipses)
- ✓ الوصل(Conjonction)
- ✓ وسائل معجميّة.

1. الإحالة Référence:

يُعرّفها **جون لوينز**: "إنها العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات "[2]فالأسماء تحيل إلى المسميات وهي علاقة دلالية قوامها وجود تطابق في الخصائص الدّلالية بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه.

1- ينظر، شعيب محمودي:(بنية النص في سورة الكهف)، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة،2010/2009/،ص:06 -

2 - ينظر صبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النصي ،ج1، الهامش2، ص:118

كما عرّف **الأزهر زناد** الإحالة بقوله: "تطلق الإحالة على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ، فشرط وجودها هو النص و هي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر".[1]

والواضح من التعريفين السابقين إهمال المتكلم رغم كونه فاعل الإحالة و عليه فإننا نتبنى هذا المفهوم الذي يرى "أن الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما ، و لكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا"[2] و حسب هذا الأخير أن للمتكلم أو الكاتب الحق في الإحالة كيفما يريد و على المحلّلِ فك تلك الإحالة حسب النص و المقام.

و تنقسم أدوات الإحالة إلى ثلاث: الضمائر و أسماء الإشارة، وأدوات المقارنة:

أ . **الضمائر**:و هي تتفرّع إلى:

- **ضمائر وجوديّة** مثل: أنا،أنت، نحن، هو، هم،هن...
- **ضمائر ملكيّة** : مثل : كتابي ، كتابك ،كتابهم ، كتابه، كتابنا...

ب . **أسماء الإشارة** : و هي إمّا:

- **ظرفيّة** : زمانيّة (الآن ،غدا ..)، أو مكانية(هنا ، هناك..)
- **انتقائيّة** (هذا هؤلاء..) ،
- **أو حسب البعد** (ذاك ، تلك..)
- **أو القرب** (هذه ، هذا..)

ج . **أدوات المقارنة** :و تنقسم إلى قسمين:

- **عامة:** و التي منها ما يحمل معنى التشابه و أخرى تحمل معنى المطابقة، و كذا معنى الاختلاف.

[1] ـأحمد عفيفي: نحو النص، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة ،ط1، 2001م،ص:36(منقول)
[2]ـ الأزهر زناد :نسيج النص، المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1993م،ص:118

- **خاصة** : والتي تحتوي الأدوات الخاصة بالكمية و الكيفية .و هذه الأدوات في مجملها تؤدي وظيفة الاتساق.[1]

و تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين هما [2]:

1. إحالة داخل النص Anaphoraأو الإحالة النصيةTextual.

2. إحالة خارج النصExophora أو الإحالة المقامية Situational

أما **الإحالة داخل النص**Anaphora فتنقسم إلى :

أ. إحالة على السابق أو إحالة بالعودة و تسمى قبلية Anafora :

وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أو عبارة أخرى سابقة لها، وهي من أكثر الأنواع ورودا في الكلام.

مثال : محمد ركب (الدراجة) لكن عليا لم يركبها. فحرف الهاء في آخر الجملة يشير إلى الاسم المذكور قبله وهو الدراجة.[3]

ويشير الدكتور إبراهيم الفقي في هذا الجانب أن هناك من الأفعال ما يمثل الوظيفة الإحاليّة نفسها كفعل" Do"في اللغة الانجليزية . أو صيغة "فعل" في العربيّة.

مثال: صلى محمد الفجر وكذلك فعل بهاء.

فالفعل "فعل يشير أو يحيل لما سبقه وهو الفعل "صلى"

ومن الممكن أن تكون الإحالة بالتكرار سواء تكرار كلمة واحدة أو جملة واحدة في جملتين متعاقبتين[4]، وهذا النمط من الإحالة له أمثلة عديدة من القرآن الكريم.

ب . إحالة على اللاحق و تسمى بعدية Catafora:

وهي في مفهومها عكس النوع الأول فهي تعني استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تأتي أو تذكر لاحقا في النص أو المحادثة[5].

---

[1] ـ ينظر،أحمد عفيفي: المرجع السابق،ص :116

[2] ـ ينظر،محمد خطابي :لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:18-19

[3] ـ ينظر، صبحي إبراهيم الفقي:علم اللّغة النصيّ بين النظرية والتطبيق،ص:39

[4] ـ ينظر،صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصّي بين النّظريّة والتّطبيق، ص:38-39

[5] ـ ينظر، المرجع نفسه، ص:40

ومثال هذا النّوع قول الله عز وجل بعد بسم الله الرحمن الرحيم:﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**[1]﴾ فالضمير(هو) يشير إلى لفظ الجلالة "**الله**"[2].

. أما مصطلح الإحالة خارج النص أو Exophora:

فهي تحيل إلى"الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة Extralinguistique Situation" [3]

و من بين هذه الأنماط المشيرة في اللغة الانجليزية (Him That, There,...) ونرى أن هذا النوع من الإحالة يتوقّف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تدور خارج النص ليتسنى للمتلقي تمييز المحال إليه من جملة الملابسات الخارجية . خارج النص .

ومن المصطلحات التي تعتبر ذات صلة بالإحالة مصطلح "المرجعية"Référence،فقد تكون . المرجعية . إشارة بواسطة الضمير إلى اسم أو عبارة اسمية متقدمة أو متأخرة، وهي تجسّد نفس وظيفة الإحالة .[4]

---

[1]- سورة الإخلاص الآية-01 ،

[2]- ينظر، صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص:40

[3] - ينظر، المرجع السابق،ص:41

[4] - ينظر، المرجع نفسه،،ص:43

والمخطط التالي يوضح أقسام الإحالة :

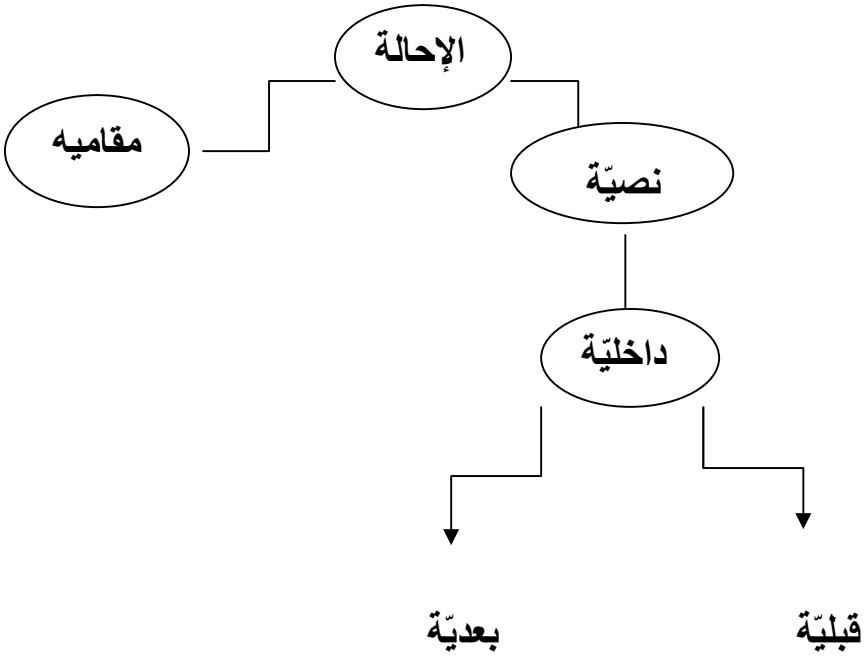

2 . الاستبدالSubstitution :

عرّف **هاليداي** و **رقية حسن** الاستبدال بقولهما :"هو عملية تتم داخل النص ، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[1] و عندما نتحدث عن الاستبدال فإننا نتحدث عن الاستمرارية الدلالية ،أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة ، و تتم جل حالات الاستبدال النصي قبليا، أي أن علاقة الاستبدال تكون بين عنصر متأخر و آخر متقدم [2] .

[1] ـ محمد خطابي: لسانيات النصّ،ص:19،نقلا عن هاليداي ورقية حسن: cohésion in English،ص:88

[2] ـ ينظر، أحمد عفيفي :نحو النصّ، ص:122

و من نماذج الاستبدال قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[1].

فقد تم استبدال كلمة (فئة) بكلمة (أخرى) أي : وفئة كافرة .

و يقع الاستبدال على ثلاث أوجه[2]:

أ . استبدال اسمي :

و يتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل : (آخر، آخرون ،نفس) كما في الآية السابقة .

.ب . استبدال فعلي :

و يمثله استبدال أي فعل في جملة ما بالفعل (يفعل) مثال: أتظن الطالب المجد ينال حقه . فتقول : أظن يفعل ، بحول الله.

ج . استبدال قولي :

ومثاله قول الله عز وجل :﴿**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾[3]

فجاءت لفظة (كلمة) بدل قولهم: ﴿ **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾.

3 . الحذفُ :

ذكر محمد خطابي في كتابه أنّ هاليداي و رقيّة حسن حدّدا الحذف بأنّه :"علاقة داخل النصّ ، و في معظم الأمثلة يوجد النص المفترض في النص السابق ، و هذا

[1] ـ سورة آل عمران، آية13

[2] ـ ينظر، أحمد عفيفي: نحو النص،ص:123

[3]ـ سورة الكهف، آيات :04،05

يعني أن الحذف علاقة قبلية .والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول استبدالا بالصفر، أي: أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، و أثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال في حين علاقة الحذف لا تخلف أثرا...و من ثم يوجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق "[1]

إذ أنّ الحذف يتمّ عندما يكون هناك قرائن معنوية أو مقاميه ، تومئ إليه و تدل عليه و يكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره ، و في نحو النص يجب أن تراعى القرائن المعنوية والمقاميّة ،لأنّ السّياق و المقام يعدّان من أساسيات الحذف . حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للرّبط بين أجزاء النصّ من خلال المحتوى الدلالي"[2]

و الحذف أنواع عند **هاليداي** و **رقية حسن** ،و هي :

أ. الحذف الاسمي:

وهو حذف الاسم داخل المركّب الاسمي، مثال: (أي قبعة ستلبس؟هذه هي الأفضل) فقد حذفت القبعة في جملة الإجابة، ويقول الباحثان أنّ الحذف الاسميّ لا يقع إلّا في الأسماء المشتركة(Common nouons)[3]

ب . الحذف الفعلي:

وهو حذف يتم داخل المركب الفعليّ، ومثال ذلك(هل كنت تسبح؟ نعم فعلت)، و يشترط فيه أن يكون المحذوف عنصرا فعليا، ويذكر **الفقي** أنّها **هاليداي ورقية حسن**، قد عقدا مقارنات كثيرة بين الحذف الفعليّ والحذف الاسميّ، وذكرا أن أكثر الأنماط التي يتحقّق فيها الحذف: العناصر التي تحذف من جملة الاستفهام، إذ يمثل الاستفهام

[1] ـمحمد خطابي:لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص:21

[2]- احمد عفيفي : نحو النص،ص: 125

[3]- ينظر، محمد خطابي :المرجع السابق، ص: 22

الدرجة القصوى للحذف تبعا للمفترض مقدما في تلك الجمل الاستفهاميّة. ويذكر **الفقي** من أنماط الحذف المهمّة في التّحليل النصي، حذف بعض الأحداث دون البعض في التّسلسل الزّمني للقصّة،

كقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِين**﴾ [1]، فضرب فانفجرت، ومنها حذف الزّمان والمكان...

وهناكح أقسام أخرى من الحذف القصصي، كحذف الشخصيات، أوبعض مقوّماتها[2]

ج . حذف في شبه الجملة:

كأن نقول لأحدهم : كم مدينة زرت؟ فيجيب : ثلاث مدن.

4 . الوصل (Conjonction)

و هو" تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم "[3] فالنص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة و لكي تنتظم في نسيج نصيّ متماسك تحتاج إلى أدوات أو عناصر ربط تصل بين أجزائه ، و أدوات الربط متنوعة قسمها **هاليداي** و **رقية حسن** إلى إضافيّة ، وعكسيّة، و سببيّة، وزمنيّة.[4]

أ. **الوصل بالإضافة :**

ويتم بواسطة الأداتين "**الواو**" و "**أو**" و كذا علاقات أخرى[5]:

---

[1] ـ سورة البقرة :آية: 60

[2] ـ ينظر، صبحي إبراهيم الفقيّ : علم اللّغة النصيّ، ص: 40

[3] ـ المرجع نفسه، ص :23، (منقول)

[4] ـ م ن،ص: 23

[5] ـ ينظر، محمد خطابي :لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص :23 (منقول)

. كالربط بواسطة الصيغة:(بالمثل...) ويتم ذلك الربط بين الجمل لتحقيق التماثل الدلالي.

- ✓ **علاقة الشّرح:**

وتتم بواسطة صيغ عديدة منها: أعني، بتعبير آخر...

- ✓ **علاقة التّمثيل:**

والتّي تتمثّل في الصّيغة: مثلا، أو نحو...

ب . **الوصل العكسي :**

والذي يعني "على عكس ما هو متوقع"[1]و هذا يتم بواسطة أدوات عديدة لعل أهمها الأداة: لكن، ليس بعد...

ج . **الوصل السببي :**

حيث يمكّننا هذا النوع من الوصل إدراك العلاقة بين جملتين أو فكرتين أو أكثر، و يتم التعبير عنه بواسطة الصيغ : لذا ، لكي ،لهذا... و تدخل ضمن الوصل السببيّ علاقات كالنتيجة ، والسبب، والشّرط...[2]

د . **الوصل الزمني:**

و هو الربط بين أطروحتي جملتين متعاقبتين زمنيا، و أبسط مثال عن هذه العلاقة هي صيغة (ثم) [3]

5. الاتّساق االمعجميّ:

و قد قسّمه هاليداي و رقية حسن إلى نوعين :

---

[1] ـ ، محمد خطابي، لسانيات النصّ ، ص:23

[2] ـ ينظر م ن: ص : 24

[3] ـ ينظر، م ن :ص : 24

أ. التضام :

و هو كما عرفه هاليداي و رقية حسن " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة ، نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[1]

و هناك علاقات تحدد التضام منها[2]:

- ✓ **علاقة التضاد:**

و مثاله في قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا**﴾[3]

- ✓ **علاقة التنافر:**

و يكون بين عناصر تشترك في صفة عامة و تختلف في صفات فرعية كمجموعة الحيوانات التي تحمل أنواعا مختلفة منها: الحصان، القط، الشاة...فهذه الكلمات متضامّة فيما بينها تحت كلمة الحيوانات، والأمثلة الأخرى عديدة من الواقع.

- ✓ علاقة الجزء من الكل:

كعلاقة اليد بالجسم والسرير من أثاث الغرفة...

ب . التكرار:

" هو إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عامّا ". والأسماء العامة هي مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة عامّة، فالمجموعة التّالية (الشّخص، الرّجل، الطّفل، الطّالب...) تدخل في إطار أسماء الإنسان و كذلك أسماء المكان...

و نضرب لأوجه التكرار الأولى بالمثال الآتي:

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النصّ :ص:25

[2] - ينظر، م ن :ص:25

[3] - سورة الكهف، آية: 17

(شرعت في الصّعود إلى القمّة { الصّعود / التّسلّق / العمل / الشّيء / هو } سهل للغاية)

ج . معايير الانسجام الدّلالية:

والتّي من أهمّها:

1 . السياق(context) :

مما لاشكّ فيه أن معظم البنى النصية تعتبر وليدة عدة سياقات ومرجعيات مختلفة خلقتها وأكسبت عناصرها علاقات خاصة جعلت النص كلا موحدا، وهدف المحلل النصي محاولة اكتشافه النص . من خلال الإلمام بالسياق الذي ورد فيه.

وقبل ايراد مفاهيم السّياق في الفكر الألسنيّ الغربي ننوه إلى أنّ أوّل من أقرّ دور السّياق في الكلام أو اللّغة هو دي سوسير وذلك في منهجه الاجتماعي للغة، حين جعل من اللغة نشاطا اجتماعيا، نابعة من الاحتكاك في المجتمع و بالتّالي لايمكن فهمها إلا من خلال المجتمع الذي تواضع عليها[1].

ومن أبرز من اهتم بالسياق العالم "فيرث"الذّي أقام مدرسته على أساس المعنى ، و المعنى لدى فيرث "لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية "[2] أي ربطها بالسياق ، و تحديد المعنى عند فيرث يتوقف على الشروط التالية[3]:

- تحليل السياق اللغوي صوتيّا وصرفيّا ونحويّا و معجميّا.

[1] ـ ينظر، صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص: 106
[2] ـ المرجع السابق،ص: 106
[3] ـ ينظر، محمد عزّام ،النص الغائب، ص: 117

- بيان شخصية المخاطب والظّروف المحيطة بالكلام.
- بيان نوع الوظيفة الكلامية.
- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

وهذه الشّروط حسب ما نرى تؤكّد بقوّة على أنّ المعنى متّصل يرتبط ارتباطا وثيقا بالسّياق، إذ يتعذّر الفصل بينهما ولا يتصوّر أحدهما والآخر ليس متلبّسا به.

فيما يرى كل من **براون** و**يول**، أن السّياق يلعب دورا في فهم وتأويل النّصوص فهو يتشّكل لديهما من المتكلم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان.[1]

وفي هذا الصدد يرى **هايمس** أنّ للسّياق دورين بارزين ومختلفين فهو "يحصر مجال التّأويلات الممكنة...ويدعم التأويل المقصود"[2]، ثم قام بتصنيف خصائص السياق إلى ما يلي:

. **المرسل** : و هو الكاتب أو المتكلم الذي ينتج القول أو الكلام.

. **المتلقّي** : و هو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

. الحضور :و هم مستمعون حاضرون غير المتلقي، يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

. **الموضوع** : و هو مدار الحدث الكلامي .

. **المقام** : و هو زمان و مكان الحدث التواصلي ،و كذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات و الإيماءات و تعبيرات الوجه...

. **القناة** : الطريقة أو الكيفية التي تم بها التّواصل بين المشاركين :كلام ، كتابة ، إشارة...

. النظام : اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل .

---

[1] ـ ينظر، محمد خطابي، لسانيات النصّ،ص:52

[2] ـ المرجع السابق،ص : 52

. **شكل الرسالة** : أي الشكل المقصود : دردشة ، جدال ، عظة ، خرافة ، رسالة...

. **المفتاح** : و يتضمن تقويم الرسالة وإبداء الرأي حول مضمونها .

. **الغرض:** أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي .

ويشير هايمس أنّه على المحلل أنّ يختار من هذه الخصائص ما يراه ضروريا لوصف حدث تواصليّ ما ، أي أنّ جميع هذه الخصائص ليست دائمة الضّرورة في جميع الأحداث التواصلية و إنما قد نستغني عن بعضها و كلّما زادت معرفة المحلل بهذه الخصائص زادت من قدرته على التنبؤ بما يمكن أن يقال[1].

وقد قام علماء اللسانيات بتقسيم أنواع السياقات إلى قسمان هما :

✓ **سياق لغوي(مقالي):**

و هذا النوع من السياق يجسد النص نفسه بجميع مستوياته اللغوية و كينونتها النصية ، إذ أن معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، و موقعها مع ما يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السياق ، فهو الذي من خلاله تتجلى دلالة الكلمة وفق استعمالها في اللغة.[2]

✓ **سياق غير لغوي(مقامي):**

وهو ظروف النص و ملابساته الخارجية التي تشتمل على الطبقات المقاميّة المختلفة و المتباينة التي ينجز ضمنها أو في إطارها أو حواليتها النص.[3]، و ينتهي ضمنه المظهر الخطابي ذو الرسالة اللغوية في مقام معين.[4]، فتغير المدلولات متوقف على تغير المواقف التي تستخدم فيها المداليل[5]، فالنص حسب ما يرى علماء النص "

---

[1] ينظر، محمد خطابي، لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:50

[2] ـ ينظر، المرجع السابق ،ص :53

[3] ـ ينظر، براون ويول،تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزّليطي ومنير التريكي، دار الفجر للنشر والتوزيع، د ب، ط1، 1997م،ص:68

[4] ـ ينظر،أحمد مختار عمر،علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م ،ص:68

[5] ـ ينظر، جمال مباركي،التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر،إصدار رابطة إبداع الثقافة ،بوحيدرن الجزائر،د ط،د ت،ص:151

ليس الإحالة خاصّة من البيئة المحيطة "[1]، و يرى **براون** و**يول** أن أيّ نصّ أو تركيب يدرس خارج سياقه هو "محل شك كبير"[2]

وبالتّالي فإن من الاستحالة أن نعتقد من انه بإمكاننا فهم نص أو تأويله دون وضعه في سياقه ، فالسياق يعتبر أساسيا في تحقيق تواصلية و انسجام النص أو الخطاب .

2 . التأويل المحلّي و المتشابه :

إذا ما تتبّعنا مفهوم كلمة (تأويل) في الثّقافة الغربيّة فإننا نجد صداها في اللغة الفرنسية سنة1888 م، يعود للأصل اليوناني (هارمينوتيكيوس)، الذي يعنى بعلم تأويل الأمّهات من النّصوص الدينيّة والفلسفيّة على حد سواء، وقد توالت عليه المدارس النقدية، ثمّ حاول النّقد الغربيّ الحديث توظيفه ضمن اتجاه عام يهدف إلى تجاوز ثنائيّة الشّكل والمضمون،إلّا أنّ من الباحثين مَن رأى بأن التأويل في حقيقته ليس له علاقة بالنص الأدبي وإنما هو من بين المصطلحات التي اقترن ظهورها بالفلسفة[3].

ويرى محمد خطابي أن التّأويل المحلي "يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق ، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن)أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم(محمد) مثلا"[4]و ذلك بالاعتماد على خصائص السياق التي من شأنها حصر التأويلات أو القراءات الممكنة للنصّ، إذ أنّ التّأويل هو القراءة الممكنة للنصّ، لأنّ هذا الأخير ليس مغلقا على ذاته بل هو مفتوح على القارئ أو المتلقّي يدخله في أيّ زاوية شاء، فينتج و يبدع بذلك نصّا جديدا فوق النص الأول، فهو بذلك النص الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص و الظواهر و

---

[1] ـ أحمد مداس :لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2009م، ص:89

[2] ـ صبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النصي،ص:109

[3] ـ ينظر، براون ويول :تحليل الخطاب،ص: 32

[4]ـ عبد الغني بارة : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي لمعاصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د ط، 2005 م، ص:33

الأحداث[1]، وسلامة التّأويل و مناسبته يعتبر شكلا من أشكال إنتاج المعنى المناسب،و هذا لا يتحقق إلا من خلال وسائل أخرى تعضده كالتشابه الذي يعتمد بدوره في مواجهة النصوص أو الخطابات على تجارب و مواقف سابقة تشبه النص أو تتقارب معه في وجه ما ، و بفضل هذه الآلية يتم اختزال التأويلات التي لا تنسجم و لا تتلاءم مع العناصر التأويلية و المعلومات الواردة في النص أو الخطاب .[2]

إنّ محلّل النصّ لكي يربط شيئا معطى مع آخر غير ظاهر يستند في ذلك إلى تجاربه السابقة فيراكم عادات تحليلية وفهمية وعمليّات متعددة في مواجهة النصوص بغية اكتشاف الثوابت والمتغيرات التي تمكنه من الوصول إلى النص وخصائصه النوعية.ومبدأ التشابه يرد بين النصوص بنسب متفاوتة، فإذا كانت الصيغ والمضامين مختلفة في النصوص، فليس بالضرورة أن تتغير الخصائص النوعية لهذه النصوص أو الخطابات إلا نادرا ومنه فمبدأي التشابه والتّأويل المحلي "يكونان أساس فرضية التماسك المعنوي في تجربتنا الحياتية عموما، وبالتالي في تجربتنا مع النص/الخطاب كذلك"[3]

3 . التّغريض:

الذّي يعرّفه براون و يول بأنه "نقطة بداية قول ما " [4]، و نقطة بداية أي قول تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى ، ويعدّ العنوان عنصرا مهمّا في تحديد دلالية النص ، إذ تتجلّى من خلاله مجموعة من المفاهيم المفتاحيّة و المركزيّة للنصّ الأدبيّ.[5] ، فهو يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمنه النص لذا عده كل من **براون** و **يول** أقوى وسيلة من وسائل التّغريض، و ذلك لاحتوائه على وظائف رمزية مشفرة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات، فالعنوان إجراء في هدف النص و غرضه.[6]

---

[1] ـ ينظر، محمد خطابي،لسانيات النص،ص: 56

[2] ـ ينظر، نصر حامد أبو زين،إشكاليات القراءة وآليات التأويل،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،ط7، 2005،ص:192

[3] ـالمرجع السابق ، ص:192

[4] ـ محمد خطابي : لسانيات النص،ص: 57

[5] ـ ينظر،المرجع السابق،ص:59

[6] ـ ينظر، محمد عزام، النصّ الغائب،ص:26

أمّا الجملة الأولى فهي لن تحصر تأويل الفقرة التي تتضمنها فقط و إنما بقية النص أيضا، فهي تمثل معلما عليها يقوم النص و منها يعود.

وهناك من استعمل مفهوما أعمّ من التّغريض وهو (البناء) الذي حدده **كرايمس** بأنه" كل قول، كل جملة، كلّ فقرة، كلّ حلقة، وكلّ خطاب منظّم حول عنصر خاصّ يتّخذ كنقطة بداية"[1]، نستطيع أن نستخلص من جملة ما سبق أن كل من العنوان و الجملة الأولى يعدان من أهم أدوات التّغريض، لكونه المنطلق المهم جدا في تأسيس كل شيء[2].

وبالإضافة إلى هذه العناصر هناك عناصر أخرى يتم بها التغريض: كتكرير اسم شخص، أو استعمال ضمير محيل إليه، أو تكرير جزء من اسمه، أو استعمال ظرف مكان يخدم خاصية من خصائصه، أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية معينة.[3]

4 . ترتيب الخطاب :

لاشكّ من أنّ للأحداث المرتّبة في (النصّ/الخطاب) دورا هامّا يؤثر في عملية الانسجام النصي، حيث عدّ من أهم مظاهر الانسجام النصي و أطلق عليه **فان دايك** الترتيب العادي للوقائع.[4]

فإذا كانت الجمل دليل على الأحداث فإن انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدل على مجموع منظم من الأحداث[5] ، و هذا المجموع المنظم من الأحداث تحكمه جملة من المبادئ المختلفة في مقدمتها معرفتنا بالعالم[6]، كما و تجدر الإشارة إلى أنه أنه قد يعتري الترتيب العادي للوقائع تغيير ما بيد أنه لا يؤثر في سير انسجامه، إلّا

---

[1]- خلود العموش، الخطاب القرآني (دراسة بين النصّ والسّياق)، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2008م، ص:411

[2] - ينظر، محمد خطابي،: لسانيات النص ، ص:59

[3] - ينظر، المرجع السابق، ص:59

[4] -ينظر، المرجع نفسه ، ص:183

[5] - ينظر،المرجع نفسه ، ،ص:183

[6] - ينظر، نفسه،ص:38

أنّه قد يكون مرفقا بنتائج تجعل التّأويل مغايرا من النّاحية التّداولية، بمعنى أنّ هذا التّركيب المغاير يحمل أو يستطيع أن يوصل قيمة إخباريّة أكثر ممّا يستطيعه التّرتيب العاديّ، وقد أشار **فان دايك** إلى أهمّ العلاقات التي تحكم الترتيب العادي و ذلك باعتبار الأحوال الموصوفة، و هي : عام وخاص ، جزء وكلّ/مركّب، مجموعة و فئة و عنصر...[1]

أمّا التّرتيب المخالف للترتيب الفعلي للأحداث و الذي يكون مصحوبا بنتائج على مستوى التأويل فتحكمه عدة علاقات تخضع لمبادئ معرفية لعل أهمها : الإجمال و التفصيل ، الجزء و الكلّ ، العموم و الخصوص ،التضاد...[2]

5 . موضوع الخطاب أو (البنية الكلية):

إذا ما حاولنا تتبع مفهوم موضوع الخطاب في الوسط اللّساني الغربيّ فإنّنا لن نجد إجابة دقيقة و بالتّالي نأخذ بقول **فان دايك** بأنّه ذو مفهوم "فضفاض"، إلا أننا سنحاول تقريب مفهومه من خلال و صفه قدر الإمكان ، فنقول من أن موضوع الخطاب عبارة عن بنية دلالية بواسطتها يوصف انسجام الخطاب ،أو هو أداة إجرائية "حدسيّة "بها تقارب بنية الخطاب الضمنيّة[3].

كما ويقصد بموضوع الخطاب أيضا البنية الدلالية التي تُصَبُّ فيها مجموعة من المتتاليات بتضافر مستمر قد تطول أو تقصر و ذلك حسب ما يتطلّبه الخطاب.[4] ، وبالتالي فالبنية الدلالية تقوم بدور أساسي في تنظيم الإخبار الدلالي في النص/الخطاب .و إذا ما أردنا الفصل بين (موضوع الخطاب و البنية الكلية) فإننا نجد خليل بن ياسر البطاشي قد حدّد الفارق بينهما عبر الفصل أو تحديد العمليات

---

[1] ـينظر، نفسه،ص:38

[2] ـ ينظر، محمد خطابي:لسانيات النصّ: ص:38

[3] ـ ينظر، المرجع السابق ،ص:38

[4] ـ ينظر، نفسه:ص:39

التّي توصّل إلى كلّ منهما "فالبنية الكليّة يتوصّل إليها عن طريق عمليّات أساسها الحذف و الاختزال؛ إذ يتم فيها حذف الموضوعات الثانويّة، ودمج أخرى في عموميّات...أمّا موضوع الخطاب فيستخلص من خلال مسح الجمل التي تخصّ هذا الموضوع في النصّ"[1]، و البنية الكلية ليست شيئا معطى و إنّما هي افتراض أو مفهوم حدسيّ مجرّد بها تتجلّى كليّة الخطاب و وحدته الدلالية ، و هي تستدعي الاستعانة بوسيلة ملموسة لتوضيحها وقد رأى فان دايك أن موضوع الخطاب هو هذه الوسيلة .[2]

6 . زمن النص/الخطاب:

وهو من أهم العناصر التي اهتم بها علماء النص أثناء تحليلهم للنصوص الشعرية و السردية ،و ذلك نظرا لأهميّته في تحقيق الانسجام، حيث قال الأزهر زناد أن من بين المبادئ العامة لوكاشيو" أن الملفوظ يصبح نصا عندما تترابط عناصره باعتماد عامل الزمن(Opérateur) أي يتوفر فيه عنصر زماني ما يرتبط بزمان آخر معروف أو معطى عند السامع و المتكلم"[3]

والأدوات اللّغويّة الدّالّة على الزّمن في (النصّ/الخطاب) كثيرة فمنها صيغ الأفعال في (الماضي والمضارع والأمر) بأزمنتها المختلفة، و الحروف الدالّة على الزّمن(السين، سوف...)،و الأفعال النّاقصة(كان و أخواتها...)،و حروف النفي(لم، لن...)[4]

وهذه الأدوات المعبرة عن الزمن هي في الحقيقة نتاج ثلاث محاور زمانية:

---

[1]-خليل بن ياسر البطاشي،الترابط النصي، في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، دت ،ص:225-226-

[2] -انظر،محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص44 - 45،(تحليل فان دايك للبنية الكلية)

[3] - الازهر زناد: نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص:72

[4] - ينظر، خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصّي ،ص:232

➢ زمن الواقعة المثبتة في النص أو الأزمنة الداخلية:

وهي الأزمنة المتوفّرة في عالم الخطاب ، و تدل عليها صيغ الأفعال التامة و الناقصة و كذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبيّة الأخرى...إلا أنّ الأفعال هي أدقّ و أوفر الوسائل حظّا في الاستعمال.

وتنقسم هذه الأفعال في كل نص/خطاب إلى قسمين:

- ✓ أفعال أساسية و ضرورية في تجسيد الأحداث الرئيسية في عالم النص/الخطاب و لا يمكن للمتلقي بأي حال الاستغناء عنها لأنها تمثل الدعائم أو المعالم التي يقوم عليها هيكل النص/الخطاب و هيّ أيضا أساسية في تمثّلها للأزمنة المقترنة بأحداث و تفاعلات النص[1].
- ✓ أفعال ثانويّة تعين على تجسّد الأحداث و لكنّها ليست ضروريّة إذ يمكن الاستغناء عنها ، و هي في التركيب تابعة و مرتبطة بالأفعال الأساسية.[2]

➢ الزّمن الذي قيل فيه النص.

➢ الزّمن المرجعي :

أي تحديد زمن الحادثة من خلال مقارنته بزمن إنتاج النص.

ونمثّل لذلك بقوله تعالى :﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ**﴾[3]، فزمن هذه الواقعة هو زمن الفعل (قال) المعبّر عنه بصيغة الماضي، أما الزّمن الذي قيل فيه النصّ فهو في عهد النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، أما الزمن المرجعي فهو لحظة قول المشركين ، و نطقهم بالمقولة المذكورة نفسها"[4]

---

[1]- ينظر، الأزهر زناد:نسيج النصّ،ص:72

[2] - ينظر، المرجع نفسه،ص:74

[3]- سورة الأنعام، آية8

[4]- خليل بن ياسر البطاشي :الترابط النصي،ص:232

و هناك نوع آخر من الزمن حدده لوكاشيو و هو [1]:

الزّمن المعطى الأولي:

وهو زمن معطى يمكن الظّفر به من خلال السّياق و قد قسّم لوكاشيو الزمن على أساسه إلى قسمين :

- **الزمن الإشاري:**

وهو الزمن الذي يرتبط مباشرة بالزمن المعطى الأولي ،فكل زمن إشاري يرتبط بالسياق ارتباطا مباشرا، و هو زمن يمثل نقطة مستقلة فلا يتعلق إدراكه أو تصوره بنقطة زمنية أخرى غير الزمن المعطى الأولي .

- **الزمن الإحالي :**

وهو الزّمن الذي لا يرتبط مباشرة بالزمن المعطى الأولي ، و إنما يرتبط بزمن آخر قد سبق ذكره في النص و الذي بدوره اصطلح عليه لوكاشيو اسم(الزّمن السّالف)،أو (الزّمن المعطى الثّانوي).

2 – الانسجام في البلاغة :

لفن القول وصناعة الكلام في الإبداعات الأدبية دور بارز في صقل العواطف، و الإبحار بالنّفوس نحو ما يروم إليه المبدع، و الذّي يتّخذ في سبيل ذلك أشكالا و صياغات كثيرة و مختلفة .عكف عليها الدارسون منذ عقود بالدراسة و التحليل لاكتشاف طاقاتها و أسرارها، فأثمرت هذه الدراسات نتائج كثيرة تمخضت عنها أفكارا و نظريات من أجل الرقي بهذه الأعمال الإبداعية .

[1] ـ ينظر،الأزهرزناد: نسيج النص،ص:75-76

و البيان العربي يحمل مميزات و خصائص تختلف من مبدع لآخر ، إلا أن متذوّقي هذا الأخير و الغائرين عليه قد اشترطوا فيه سمة جوهرية و هي أن يكون بليغا.

ومن أهمّ ما يبنى عليه الكلام البليغ انسجامه. فكيف كانت رؤية علمائنا البلاغيين لمصطلح الانسجام؟

لقد تبيّن لنا من خلال البحث من أنّ مفهوم الانسجام النصّي كان واردا في ذهنيّة علمائنا البلاغيين إلّا أنّهم اصطلحوا عليه مفردات أخرى منها: التّلاحم والسّبك والحبك والتّلاؤم والمشاكلة والائتلاف والنّظم...

وقد كان تناول البلاغيّون ظاهرة الانسجام في ثنايا مواضيع أخرى ، ومن بين هؤلاء العلماء :

"**بشر بن المعتمر**"، الذّي أولى الانسجام النصّي عناية كبيرة، من خلال اهتمامه بالتّنسيق بين كلمات العبارة وأن تقع كلّ مفردة الموقع الذّي يناسبها.[1]

كما يظهر اهتمام "**العتابيّ**" الانسجام النصّي حيث رأى أنّ الألفاظ للمعاني بمثابة الأجساد للأرواح، فيجب أن تحتلّ الموضع المناسب لها وإلّا فسدت الصّورة، وفقدت الحسن والجمال وساء نظمها.[2]

كما كانت فكرة الانسجام واضحة عند الجاحظ أثناء وضعه شروط الشّعر الجيّد، حيث قال: " وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا..."[3]

[1] ـ ينظر،أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م، ص:138

[2]ـ ينظر، أبي هلال العسكري،الصّناعتين(الكتابةوالشّعر)،المكتبةالعصريّة،بيروت،دط،1419هـ، ص: 179ـ

[3]ـ الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص:138

كما أشار "**المبرّد**" إلى الانسجام وذلك في إطار حديثه عن البلاغة فقال: " فحقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النّظم"[1]

كما يظهر احتواء "**ابن قتيبة**" لمفهوم الانسجام من خلال رؤيته للنّظم، الذّي يكون في سبك الألفاظ وضمّ بعضها إلى بعض، في تأليف دقيق بينها وبين المعاني حتّى يجريا في سلاسة وعذوبة.[2]

وفي ايراد "**الرماني**" مفهومه عن التّلاؤم، وأنّه يعني حسن النّظم، وجودة السّبك حتّى يحلو في السّمع ويخفّ على اللّسان.[3] إشارة واضحة لفكرة الانسجام.

3 – الانسجام في النقد :

لقد كان موضوع الانسجام في الفكر النقديّ واردا وبقوّة في سياقات شتّى، حاولت جميعها بناء أسس يقوم عليها النصّ الأدبيّ العربيّ ، وانعكس اهتمام نقّادنا الأجلّاء بخاصيّة الانسجام من خلال إيرادهم صيغا عديدة تقارب إلى حدّ بعيد فكرة الانسجام. منها : التّلاحم والسّبك ويفرغ إفراغا واحدا، الانتظام، الاتّساق، التآلف، التّعلّق...

أمّا من أقوال النّقاد وما نستطيع أن نعتبره مفهوما للانسجام قول الجاحظ :" وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه سبك سبكا واحدا وأفرغ إفراغا واحدا فهو يجري على اللّسان كما يجري على الدّهان.."[4]

فالتّلاحم والسّبك يعني الترابط السّلس والمناسب بين أجزاء القصيدة الشّعريّة.

كما يوحي وصف ابن طباطبا الشّعر الحسن باهتمامه بالانسجام حيث يقول : "وأحسن الشّعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتّسق به أوّله مع آخره على ما ينسّقه

---

[1] ـ المبرّد المبرّد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، د ط، 1994م، ج2 ، ص: 59

[2]- ينظر،أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،تحقيق السيّد أحمد صقر ،دار التّراث،القاهرة،ط2 ، 1973م ، ص : 4

[3] ـ ينظر، الرماني، النّكت، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر،ط3،ص:96[3]

[4]- الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1،ص: 138

قائله... يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أوّلها نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة ألفاظ...حتّى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغا...تقتضي كلّ كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلّقا بها مفتقرا إليها"[1]

فالانتظام والاتّساق بين أوّل الكلام وآخره يجعله لحمة واحدة، أو كالكلمة الواحدة، تكون كلماتها لازمة في بنيتها، إذا أسقطنا أحدها شاب هذا التّركيب نقصا وعيبا.

كذاك شأن الحاتمي حين وصف حسن استفتاح الشّعر في قوله: "من حكم النّسيب الذّي يفتتح به الشّاعر كلامه أن يكون كلامه ممزوجا بما بعده من مدح أو ذمّ متّصلا به، غير منفصل عنه"[2]

فمتعلّقات الانسجام تظهر في لفظة (المزج) والذّي يكون وفق نسب دقيقة، وقوله (متّصلا) يتعلّق إلى حدّ كبير بتحقّق الانسجام.

[1] ـ ابن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، تحقيق عباس عبد الستار، نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 2005م، ص:11

[2] ـ محمد خطابي، لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:148،(منقول)

الفصل الأوّل

مبادئ الانسجام في الفكر البلاغي العربي التّراثي

(صوتية – تركيبية – دلالية)

مباحث الفصل الأول :

1ـ المبادئ الصوتية :

- الإيقاع

- السّجع

ـ الجناس

- النبر

- التنغيم

2 ـ المبادئ التركيبية:

ـ النحوية

ـ المعجمية

3 ـ المبادئ الدلالية :

ـ المقام

ـ المجاز

ـ التّشبيه

ـ الكنايه

رغم أن موضوع الانسجام حديث العهد مقارنة بزمنيّة البحث البلاغي،إلاّ أن علماء البلاغة العربيّة قد وقفوا على أ همّ معاييره في غير موضع وإن شاب هذا التوقّف شيء من نقص التّرتيب وغياب في المصطلح، وضعفا من النّاحية المنهجيّة،إلّا أنّ سابقتهم إلى الطّرح رغم ضعف المنهج ينصفه كلّ مهتمّ ومطلع للبحث البلاغي العربي.

وسنحاول تتبع جهود وآراء البلاغيّين حول الانسجام.

1.المبادئ الصوتيّة:

يعرّف ابن جنّي اللّغة بأنّها:" أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[1]

وبما أنّ اللغة على اعتبار مفهومها وتداولها ذات دلالة فإنّ للصّوت المكوّن للّفظ اللّغوي دلالة معيّنة، حيث قيل من "أن المعنى والصّوت كليهما مرتبط بالآخر ارتباطا لا يقبل التّفرقة"[2]، فالألفاظ عبارة عن أصوات تكتسب دلالتها من جرس أصواتها، وتعتمد الدّلالة الصّوتيّة على طبيعة الأصوات في نغمها وجرسها، فالصّوت كما يصفه الجاحظ هو:"آلة اللّفظ والجوهر الذّي يقوم به التّقطيع وبه يوجد التّأليف، لن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلّا بوجود الصّوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتّقطيع والتّأليف"[3]

وهنا يظهر دور الصّوت في استكمال بناء معنى الكلام المنطوق المسموع، فلكلّ حرف صوتا ولكلّ صوت قيمة سمعيّة، والأصوات اللّغويّة تدرس من وجهين:

---

[1]ـ الدلالة الصوتية في اللغة العربيّة: صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، د ت، د ط، ص:34(منقول)

[2] ـ أحمد حسّاني، (الإيقاع وعلاقته بالدّلالة في الشّعر الجاهلي)، (رسالة دكتوراه دولة)، غير منشورة، قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص:24

[3] ـ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،البيان والتّبيين،ج1،تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط7،1998م،ص:79:

- ✓ **مفردة** ، فتدرس صفاتها، ومخارجها، وتطوّرها تاريخيّا، وهو ميدان يعنى به (علم الأصوات).
- ✓ **ملتحمة أو مرتبطة**، فتدرس المقاطع، والنّبر، والتّنغيم، وهو ما يعنى به (علم الأصوات الوظيفيّ).[1]

وقد كان لعلمائنا السّابقين بادرة طيّبة ومبدعة في مجال دراسة وتحليل الأصوات على وجهيها، بدءا من شغفهم بموسيقى اللّفظة واجتهادهم في تخليصها ممّا يفقدها التّناسب بين حروفها وحركاتها، كما حرصوا على موسيقى العبارات، واهتمّوا بالانسجام الصّوتيّ في الكلمات، بحيث تؤلّف بنسيجها نغما تطرب له الأذن وتأنس له النّفس.[2]

إلّا أنّ ما يعنينا هو الدّور الذّي يلعبه الصّوت في انسجام النصّ أو الخطاب، ومن المظاهر الصّوتيّة التّي تساهم في انسجام الكلام:

أ . الإيقاع:

لم يكن لعلماء البلاغة مفهوما محدّدا للإيقاع بل كان لهم إحساسا وذوقا بدوره وقيمته، وذلك ممّا عكسته ملاحظاتهم العروضيّة، ومقاييسهم لجودة اللفظ والمعنى وما له من تأثير وحسن في تلاحم أجزاء النصّ وفي جرس أصواته.[3]

حيث نلمح لدى **قدامة بن جعفر** خلال حديثه عن البلاغة إشارة في غاية الوضوح عن دور الإيقاع في انسجام النصّ حيث يقول:"فأحسن البلاغة التّرصيع .

---

[1] ـ جنان منصور كاظم الجبّوري، (التّطوّر الدّلالي للألفاظ في النصّ القرآني) ـ دراسة بلاغيّة ـ ، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربيّة، جامعة بغداد، غير منشورة، 2005م، ص: 96

[2] ـ ينظر، نعمة رحيم العزّاوي، النّقد اللّغوي عند العرب، حتى نهاية القرن السابع هجري، منشورات وزارة الثقافة، العراق ، 1978م ص:293

[3] ـ ينظر، أحمد حسّاني، (الإيقاع وعلاقته بالدّلالة في الشّعر الجاهلي)، ص:59

وأمّا **أبو هلال العسكري** فقد تعرّض للإيقاع في إطار تمييزه الشّعر عن النّثر، فقال من أنّ:

" الألحان التّي هي أهنأ اللذّات، إذا سمعها ذوو القرائح اللّطيفة لا تتهيّأ صنعتها إلّا على كلّ منظوم من الشّعر فهي لهم بمنزلة المادّة القابلة بصورها الشّريفة"[1]

وقد أدرك الجرجاني مفهوم الإيقاع وربطه بمفهوم الشّعريّة وذلك في اطار حديثه عن النّظم، إذ يرى أنّ الإيقاع معنى وليس لفظا مجرّدا، والجرجاني لا يرى بالضّرورة أن يرتبط الإيقاع بالوزن والقافية وإن اُعتُبر حالة من حالات تجلياته، وينتقل إلى أنّ:" الوزن ليس من البلاغة والفصاحة إذ لو كان له مدخل فيها لكان يجب على كلّ قصيدتين اتّفقتا في الوزن أن تتّفقا في الفصاحة والبلاغة.."[2]

ومع أنّ الجرجاني قد أحسّ بفاعليّة الإيقاع الدّاخلي إلّا انّه لم يبيّن دور الإيقاع في النّظم، ولكن على الرّغم من إهماله دور الإيقاع فقد اعترف بأهميّة الجانب الصّوتي حين يقول :"أعلم أنّنا لا نأبى أن تكون مراقة الحروف وسلامتها ممّا يثقل على اللّسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون ممّا يؤكّد أمر الإعجاز ،وإنّما الذّي نتركه ونتقبّل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزا وحده ويجعله الأصل والعمدة"[3]، وبتالي فالمعاني لدى الجرجاني تتفاضل بمدى سلاسة مخارجها فتروق بذلك للسّامع ويأنس لمعناها.

---

[1]ـ أبي هلال العسكري، الصّناعتين، ص:144

[2] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمّد شاكر، د د ن، د ط، د ت، ص:364

[3] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983م، ص:21

ب . السّجع: و هو تكلّم الرّجل بكلام فيه فواصل.[1]، وهو عند الخطيب القزوينيّ :" تواطؤ الفاصلتين من النّثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكّاكي،

الأسجاع في النّثر كالقوافي في الشّعر"[2]

ويرد السّجع وفق ثلاث ضروب[3] هي:

- ✓ **المطرّف:** وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتّفقت رويّا، كأن يرد في أسجاع الكلام سجعات غير موزونة عروضيّا، على أن يكون رويّها رويّ القافية، نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿**مالكم لا ترجون للّه وقارا، وقد خلقكم أطوارا**﴾[4]"
- ✓ **التّرصيع:** وهو كما يراه **قدامة بن جعفر**:"أن تكون الألفاظ متساوية البناء، متفقة الانتهاء...يتوخّى في كلّ جزئين منها متوالية أن يكون لهما جزآن متقابلان، متوافقان في الوزن ويتّفقان في مقاطع السّجع من غير استكراه ولا تعسّف"[5] وذلك نحو : "إنّ بعد الكدر صفواً وبعد المطر صحواً"
- ✓ **المتوازي:** وهو ما اتّفقت فيه الفقرتان وزنا وتقفية، نحو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة**﴾[6]

ونادرا ما يرد السّجع في الشّعر، إلّا ما جاء في ما عرف ب**التّشطير** نحو قول أبي تمّام:

---

[1] ـ ينظر، أبو القاسم محمّد عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، 1966م، ص:253

[2] ـ الإمام الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمّد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصريّة، بيروت، د ط، 2005م ص: 296

[3] ـ ينظر المرجع السابق، ص: 296-299

[4] ـ سورة نوح ـ آية: 13-14

[5] ـ قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، د دن ، د ط، د ت، ص:11

[6] ـ سورة الغاشية، آية: 13-14

تدبير معتصم بالله منتقم لله، مرتغب في الله، مرتقب[1]

ومن المظاهر البلاغيّة التّي تحقّق توازيا صوتيّا ايقاعيّا في النصّ الشّعري:

. **المقابلة:** وهي " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثمّ يقابلها أو يقابلها على التّرتيب، والمراد بالتّوافق خلاف التّقابل "[2] والتّي في قوله تعالى:﴿**فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا**﴾[3]

. المزاوجة: وهي أن يزاوَج بين معنيين في الشّرط والجزاء. ومنها قول البحتري:

إذا ما نهى النّاهي فلجّ بي الهوى أضاحت إلى الواشي فلجّ بها الهجر.[4]

.**التّفريق:** وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره، كقول الشّاعر:

من قاس جدواك بالغمام فمـــا أنصف في الحكم بين شكـليـــنِ

أنت إذا جدت ضاحك أبـــدا وهو إذا جاد دامعُ العيـــــنِ.[5]

. **التّقسيم:** وهو ذكر متعدّد ثمّ ذكر ما لكلّ إليه على التّقسيم. كقول أبي تمّام:

فما هو إلّا الوحي أو حدّ مرهف تُميلُ ظُباه أخدَعي كلِّ جاهـــل.

فهذا دواء الدّاء من كلّ عالمٍ وهذا دواء الدّاء من كلّ جاهـــل.[6]

جاهـــل.[6]

. **الجمع مع التّفريق:**

كقول الشّاعر:

---

[1] ـ ينظر، الامام القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص:298
[2] ـ المرجع السابق، ص:259
[3] ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 333.
[4] ـ ينظر، المرجع نفسه، ص:335
[5] ـ ينظر، المرجع نفسه، ص:352
[6] ـ ينظر،نفسه، ص:353

فوجهك كالنّار في ضوئها وقلبي كالنّار في حرّها.[1]

. **الجمع مع التّقسيم**:ومنها قول المتنبّي:

حتّى أقام على أرباض خَرشَنَةٍ تشقى به الرّوم والصّلبان والبِيــع.

للسَّبي ما نكحوا والقَتلِ ما ولدوا والنّهبِ ما جمعوا والنّار ما زرعوا.[2]

. **الجمع مع التّفريق والتّقسيم**: قول بن شرف القيروانيّ:

لمختلفي الحاجات جمع ببابه فهذا له فنّ وهذا لـــــه فــنّ.

فللخامل العَليا، وللمُعدِم الغنى وللمذنب العُتبى،وللخائف الأمن.[3]

فالأمثلة السّابقة تحقّق حتما توازيا صوتيّا والذّي يكون على مستوى التّركيب لا المفردة، وهو تواز صوتي عروضي وبالتّالي ايقاعي.

هذا وقد اعتبر ابن رشيق القيرواني التّوازي الصوتي ضربا من ضروب المقابلة، حين قال:"ومن المقابلة ما ليس مخالف ولا موفقا إلّا في الوزن والازدواج فقط فيسمّى حينئذ موازنة نحو قول أبي الطيّب:

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال".[4]

وقد جاء بن أبي الإصبع على ذكر التّوازي الصّوتي وذلك في إطار حديثه عن **التّفويف** في الصّناعة، فقال :"هو عبارة عن إتيان المتكلّم بمعان شتّى من المدح، أو

---

[1] ـ ينظر، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، ص:353
[2] ـ ينظر، المرجع السابق: ص:354
[3] ـ ينظر، المرجع نفسه، ص:355
[4] ـ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، د د ن، د ط، د ت، ص:219

الغزل، أو غير ذلك من الفنون والأغراض، مع تساوي الجمل المركّبة في الوزنيّة، ويكون بالجمل الطّويلة والمتوسّطة والقصيرة"[1] ثمّ يسوق أمثلة لكلّ نوع من الجمل.

والتّفويف في مفهومه البسيط هو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل متساوية المقادير.

ج . الجناس:

وهو فنّ بديع اشتهر بأسماء مختلفة، منها: التّجنيس والمجانسة والمجانس...، ومردّ هذه التّسمية إلى أنّ حروف ألفاظه تكون من جنس واحد[2]، وهو عند ابن المعتزّ: "أن تجيء الكلمة تجانس الأخرى في بيت شعر أو كلام، ومجانستها لها، أن تشبهها في تأليف حروفها"[3] ويعرّفه السكّاكي بأنّه: " تشابه الكلمتين في اللّفظ"[4]

والعلاقة التّي تجمع طرفي الجناس ذات وجهين[5]:

- الأول: أن يجمع اللّفظين الاشتقاق كقوله *سبحانه*:﴿**فأقم وجهك للدّين القيّم**﴾[6]
- الثاني: أن تجمعهما علاقة المشابهة،وهي ما يشبه الاشتقاق، كقوله *تعالى*: ﴿**أثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة**﴾[7]

ومن الجناس نوع يسمّى **ردّ العجز على الصّدر**، ويرد في النصّ النثريّ بأن يرد أحد اللّفظين المتجانسين في أوّل الفقرة والآخر في آخرها، كقوله *تعالى*: ﴿**وتخشى**

[1] ـ ابن أبي الاصبع، تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر، د د ن، د ط، د ت، ص:79
[2] ـ عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، د ط، 1962م ص:138
[3] ـ ابن المعتزّ، البديع، ص:25
[4] ـ السكّاكي، مفتاح العلوم، ص:429
[5] ـ ينظر، القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص:288- 293
[6] ـ سورة الرّوم، آية: 43
[7] ـ سورة التّوبة، آية: 28

النّاس والله أحقّ أن تخشاه﴾[1]. ويرد في الشّعر بأن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأوّل، أو حشوه أو في آخره، أو صدر البيت الثّاني.

كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه وليس إلى داعي النّدى بسريع[2]

ويقارب مظهر الجناس في البلاغة، ظاهرة الإبدال في اللّغة، وهي القيام بإبدال صوت مكان صوت في وحدة الكلمة على أن يصحب هذا التّبديل الصّوتي تغيّر في دلالة الكلمة، ويعدّ ابن جنّي أحد العلماء الذّين كانت لهم اسهامات قيّمة في الجانب الصّوتيّ ودوره في تحديد دلالات الكلمات، حيث وضع شرط الإبدال في مؤلّفه **(سرّ صناعة الإعراب)** فقال :"إنّ القلب(الإبدال) في الحروف ،إنّما هو فيما تقارب منها، وذلك الدّال والطّاء والتّاء ، والذّال والظّاء والثّاء والهاء والهمزة والميم والنّون وغير ذلك ممّا تدانت مخارجه"[3] فمن ذلك قولهم : النّضخ للماء ونحوه ، والنّضخ أقوى من النّضح، النّضح، يقول المولى تعالى :﴿**فيهما عينان نضّاختان**[4]﴾ فجعلت الحاء . لرقّتها. للماء للماء الضّعيف وجعلت الخاء . لغلظها . لما هو أقوى[5]

ولقد كان ابن فارس ممّن بحث في هذه الظّاهرة الصّوتيّة في معجمه**(مقاييس اللغة)** أين أورد كمّا كبيرا من الكلمات التّي حدث فيها الإبدال، فأدّى كلّ صوت مبدل دلالة تختلف عن دلالة صوت آخر.[6]

---

[1] ـ سورة الأحزاب، آية: 27

[2] ـ القزوينيّ، المرجع نفسه، ص:294

[3] ـ أبي الفتح عثمان ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، القصيم، د ب، د ط، د ت،ص:65

[4] ـ سورة الرّحمان ـ آية :66

[5] ـ المصدر السابق، ص: 65- 66

[6] ـ ينظر أبي الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، د ب، د ط، د ت.ص:89

ج . النّبـــر:

وهو بالمفهوم الحديث: الضّغط على مقطع معيّن من الكلمة لجعله بارزا وأوضح في السّمع على غيره من مقاطع الكلمة.[1]

أمّا في العربيّة فقد كان النّبر بمعنى الهمز، فقد روي أنّه قيل لرسول الله:"يا نبيء الله، فقال:"لا تنبر باسمي"،أي لا تهمز[2].

وقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور، في مادّة "**نبر**":"النّبر عند العرب ارتفاع الصّوت، يقال: نبر الرّجل نبرة، إذا تكلّم بكلمة فيها علوّ"[3]

وهذان المفهومان قريبان، غير أنّ النّبر أشمل، فهو علوّ يمكن وقوعه في صوت الهمزة وغير الهمزة، ويقع النّبر في العربيّة على وجهين:

- **نبر صرفي:**

وهو نبر يختصّ بالميزان الصّرفي، كالوزن (فاعل)فالنّبر فيه يقع على الفاء، ومعنى هذا أنّ كلّ كلمة جاءت على هذا الوزن يقع عليها النّبر بالطّريقة نفسها وذلك في نحو: كاتب، ساجد، ناظر...

- **نبر السّياق أو النبر الدلالي:**

ويقع على الجمل وليس على الكلمات، ويكون إمّا للتّأكيد أو للتّقرير.[4] ويكمن الفرق بينهما في نقطتين:

---

[1] ـ صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصّوتيّة في اللغة العربيّة،المكتب العربي الحديث، الاسكندريّة، د ط،د ت،ص: 192 (منقول)

[2] ـ المرجع السابق، ص:193 (منقول)

[3] ـ خليل إبراهيم العطيّة، في البحث الصّوتيّ عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، 1983م،ص:65(منقول)

[4] ـ ينظر، تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصريّة، القاهرة، د ط، 1990م، ص:194

- ✓ تكون دفعة الهواء في النّبر التّأكيدي أقوى منها في التّقريريّ.
- ✓ يكون صوت المتكلّم في النّبر التأكيدي أعلى منه في التّقريري، وقد يقع النّبر التّأكيدي على أيّ مقطع في المجموعة الكلاميّة.

وللتّوضيح نضرب المثال الآتي:هل سافر أحمد؟ فالنّبر الواقع في كلمة سافر يدلّ على شكّ المتكلّم في وقوع السّفر.[1]

ولم يكن الموروث العربيّ البلاغيّ غنيّا أو مهتمّا بدراسة النّبر بل وجدناه على العكس تماما، ربّما بحكم عدم كونه جزءا أو عنصرا من حقلها البحثيّ على الرغم من احتواء تراكيبها له. إلّا ما كان من إضاءات للّغوي العربيّ ابن جنّي، الذّي لمّح له في سياق حديثه عن حذف الصّفة، يقول : «وقد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب(**الكتاب**) في قولهم: سير عليه الليل، وهم يريدون :ليل طويل، وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصّفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التّطويح والتّطريح و التفخيم والتّعظيم ما يقوم مقام قوله : ليل طويل أو نحو ذلك»[2] فالكلمات الواردة في هذا النصّ: التّطويح والتطريح والتّفخيم والتّعظيم تشير إلى النّبر.

د . التّنغيـــم:

وهو نمط لحني يتحققُّ بالتّنوّع في درجة جهر الصّوت أثناء الكلام، أو هو عبارة عن تتابع النّغمات الموسيقيّة أو الإيقاعات في حدث كلامي معيّن، ويكثر أو يغلب التّنغيم على الجمل ذات الطّابع التّأثّري: كأسلوب التّعجّب والمدح والذمّ.[3]

---

[1] ـ ينظر، تمام حسان، المرجع السابق، ص:197

[2] ـ صالح سليم عبد القادر الفاخري، المرجع نفسه، ص: 196

[3] ـ ينظر، ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د ط، د ت، ص:93

وقد أشار ابن جنّي إلى هذه الظّاهرة، من ذلك:"أن تكون في مدح إنسان والثّناء عليه، فتقول: كان والله رجلا، فتزيد من قوّة لفظ (الله)...وكذلك إن ذممته وصفته بالضّيق فقلت:سألناه وكان إنسانا، وتزوي بوجهك وتقطبه، فيغني بذلك عن قولك:إنسانا لئيما...."[1]

ومن ذلك "أيضا لفظ الاستفهام إذا ضامّه معنى التّعجّب استحال خبرا، وذلك قولك:مررت برجل أيّ رجل، فأنت الآن مخبر بتناهي الرّجل في الفضل ولست مستفهما، وكذلك:بِرجل أي رجل...ومن ذلك لفظة الواجب إذا لحقته همزة التّقرير عاد نفيا، وإذا لحقت لفظ النّفي عاد إيجابا كقوله تعالى: ﴿**أأنت قلت للنّاس**[2]﴾، وأمّا دخولها على النّفي فكقوله ﷻ:﴿**ألست بربّكم**﴾[3]أي أنا كذلك. وقول جرير:

ألستم خير من رَكبَ المطايا.

أي أنتم كذلك"[4]

وفي هذا النصّ إشارة واضحة للتّنغيم.

2 . المبادئ التّركيبية:

لقد عُرف الانسجام التّركيبي في الفكر البلاغيّ بمصطلحات مختلفة منها: **الائتلاف** و**المشاكلة** و**التّلاحم** و**السّبك** و**النّظم** الذّي ظهر عند عبد القاهر الجرجانيّ(ت471هـ) وإليه تنسب "**نظريّة النّظم**"،إلّا أنّ **الانسجام التّركيبي** كان شائعا منذ القرن الثّاني هجري، ومتداولا بين العلماء: إمّا في تناولهم القصد من النّحو، وأنّه

[1] ـ صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصّوتيّة في اللغة العربيّة، ص:199(منقول)
[2] ـ سورة المائدة ـ آية: 16 -
[3] ـ سورة الأعراف ـ آية:172
[4] - صالح سليم الفاخري، المرجع السابق، ص":200(منقول)

ليس مقصورا على حركات الإعراب،بل يتعدّاهإلى تأليف الكلمات وارتباط الجمل، وإمّا في تناولهم لقضيّة "**اللفظ والمعنى**" التّي يتوصّل بها إلى إعجاز القرآن الكريم.[1]

ومن بين العلماء العرب الذين اهتمّوا بالانسجام التّركيبيّ:

"**بشر بن المعتمر**"(ت210هـ) حيث اهتمّ بالتّنسيق بين كلمات العبارة، وأن تقع كلّ لفظة في موقعها الذّي يناسبها.[2]

وكذلك "**العتابيّ**"(ت 213هـ)الذي رأى أنّ الألفاظ للمعاني بمثابة الأجساد للأرواح، فينبغي أن توضع في موضعها، وإلّا فسدت الصّورة، وفقدت الحسن والجمال وساء نظمها وشان خلقها.[3]

وكذا "**الجاحظ** "(ت 255هـ)فقد أشار إلى الانسجام التّركيبي حيث رأى أنّه يكون في حسن السّبك وتلاحم أجزاء الكلام، ومطابقته لمقتضى الحال. إذ قال:" وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء،سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا..."[4]

كما أشار "**المبرّد**" (ت 285هـ) إلى الانسجام التركيبيّ وذلك في إطار حديثه عن البلاغة التّي تكون في حسن النّظم حيث قال: "فحقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النّظم"[5]

وأمّا"**ابن قتيبة**" فقد أشار إلى الانسجام التركيبيّ في إطار رؤيته من أنّ إعجاز القرآن واقع في نظمه وحسن تأليفه، وأمّا االنّظم فقد عني به سبك الألفاظ، وضمّ

---

[1] ـ ينظر، عبد العاطي غريب علّام :دراسات في البلاغة العربيّة،منشورات جامعة قاربونس، بنغازي ،1996 م، ط1، ص:5

[2] ـ ينظر، الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص:138

[3] ـ ينظر، أبي هلال العسكريّ، الصّناعتين، ص: 179

[4] ـ الجاحظ: البيان والتّبيين،ج1،ص:138

[5] ـ المبرّد، المقتضب، ج2، ص:59

بعضها إلى بعض في تألي فدقيق بينها وبين المعاني حتّى جريا في سلامة وعذوبة.[1]

وكذا "**الرمّاني**"(ت 386هـ) فقد أشار إلى الانسجام التّركيبي، وذلك يفهم من خلال حديثه عن التّلاؤم الذّي يقصد به عنده حسن النّظم، وجودة السّبك حتّى يحلو في السّمع ويخفّ على اللّسان.[2]

وكذا "**الخطابيّ**" (ت 388هـ) الذّي رأى أنّ النّظم القرآنيّ هو نظم عالٍ لا يبلغه أو يتجاوزه نظم آخر، حيث يشتمل على الأمور الثّلاث التّي يقوم عليها الكلام من اللّفظ الحامل، والمعنى القائم، والرّباط النّاظم، وكان منها في غاية الشّرف والفضيلة.[3] وفي هذا إشارة إلى الانسجام التّركيبيّ.

وإذا ما وصلنا "**لأبي هلال العسكري**" نجد في حديثه عن النّظم إشارة في غاية الوضوح للانسجام التّركيبي، حيث يبيّن متى يكون النّظم حسنا ومتى يكون رديئا كما أنّه لا يفرّق بين كلمة النّظم والسّبك والرّصف ويجعلها ألفاظا مترادفة.[4]

ومن العلماء البارزين الذين اهتمّوا بالنّظم أو الانسجام التّركيبيّ"**القاضي أبو الحسن عبد الجبّار الأسد أبادي**"(ت 415هـ)الذّي تناول النّظم بشيء من الدقّة والتّفصيل حيث يقول:" اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلام، وإنّما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة، ولابدّ مع الضمّ أن يكون لكلّ كلمة صفة"[5]

فعبد الجبّار يوضّح النّظم بالتئام الكلمات بعضها ببعض، مع مراعاة الحركات الإعرابيّة والموقع. حيث يجعل من النّحو أحد أهمّ أركان النّظم.

---

[1] ـ ينظر،ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص:4، وما بعدها.
[2] ـ ينظر، الرمّاني، النّكت، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص:96
[3] ـ ينظر الخطابي، بيان إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص:36
[4] ـ ينظر، أبي هلال العسكريّ ، الصّناعتين، ص:179
[5] ـ المرجع نفسه، ص:6 (منقول)

ونتمّم هذا الإحصاء بالعلّامة عبد القاهر الجرجاني الذّي ما كان منه إلّا أن وضع مفهوما جديدا للانسجام التّركيبيّ أو النّظم فقال:" واعلم أن ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النّحو. وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التّي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"[1]

ولتحقق الانسجام التّركيبيّ أو النّظم عند الجرجانيّ محدّدات ،وهي :

- ✓ **. مراعاة معاني النّحو:**

النّحو هو نظام اللغة وقانونها ويرى الجرجانيّ بأنّ النّظم لا يحصل إلّا بترتيب الألفاظ التّي هي أوعية للمعاني وخاضعة للنّحو، وتوخّي النّحو يقصد منه توخّي تلك المعاني التي لا تخالف المنطق العقلي واللّغوي، كما يعني مراعاة الفروق الدّقيقة في التّأليف، فينظر مثلا في الخبر وضروبه ووجوهه مثل القول: "زيد مُنطلق، زيدٌ ينطلق ، ينطلق زيدٌ، منطلق زيدٌ، المنطلق زيد، زيدٌ هو المنطلق، زيد هو منطلقٌ"[2]

فيتمّ النّظر في الخبر والوجوه التّي يقتضيها، والشّرط وجزائه، والحال والوجوه التّي تراها فيه مثل قولك: "جاءني زيد مسرعا، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع، وجاءني وهو يسرع، وجاءني وقد أسرع"[3]

ومعرفة موضع كلّ منها ومتى يجوز استعماله وهكذا يتبيّن لنا أنّ النّظم يقوم أساسا على معاني النّحو وبدونه فلا قيمة لنظم ولا استقامة له.

- ✓ **. الفصاحة في التّركيب :**

---

[1]ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:81

[2] ـ المصدر السابق، ص:81

[3] ـ المصدر نفسه، ص:82

في هذا المبدأ إشارة إلى أهميّة الانسجام التّركيبيّ، فالجرجاني ينكر وجود جمال للّفظة خارج نطاق النّظم، ويرى أنّ درجة التّفاضل بين الألفاظ تتباين، من خلال النّظم أو التّركيب فتحسن اللّفظة في مكان وتقبح في آخر:

يقول البحتري:

وإنّي وإن بلّغتي شرف الغنى وأحققت من رقّ المطامع اخدعي.

ويقول أبو تمام:

يا دهر قم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك.

فترى كيف أجاد البحتري توظيف لفظة (الأخدع) بينما لم يبلغ أبو تمام ذلك.وهذا دليل على عدم تفاضل الألفاظ وهي مفردة مجرّدة.[1]

- ✓ **. النّظم اللّفظ و المعنى:**

لقد أكّد الجرجانيّ على ثنائيّة اللّفظ والمعنى فهو يرى أنّ العبرة في مدلول العبارات لا في العبارات نفسها، فتزايد المعاني مرتبط بالألفاظ والوصل بين اللّفظ والمعنى يكون بواسطة معاني النّحو واحترام قواعده. كما أكّد الجرجانيّ على ثنائيّة اللّفظ والمعنى فهو يرى أنّ العبرة في مدلول العبارات لا في العبارات نفسها، فتزايد المعاني مرتبط بالألفاظ والوصل بين اللّفظ والمعنى يكون بواسطة معاني النّحو واحترام قواعده.

ونظريّة النّظم للجرجانيّ تقوم على أساس المعاني فلا قيمة للألفاظ مفردة، إذ هي تابعة للمعاني ولاحقة لها، والتّعبير لا يتمّ دون مراعاة معاني النّحو.[2]

[1] ـ ينظر، الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 46-47
[2] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص:258

✓ **. النّظم والجانب العقليّ والنّفسيّ:**

يرى الجرجاني أنّ اللّغة منطق وتصوّر ذهنيّ،واللغة ما يقوم به المتكلّم والمخاطب من علاقات، وبالتّالي فالنّظم قائم على التّفكير والتّروي،يقول الجرجانيّ :"وجملة الأمر أنّه لا يكون ترتيب في شيء حتّى يكون هناك قصد إلى صورة وصفه، وإن لم يقدّم فيه ما قدّم، أو لم يؤخّر ما أخّر، أو بدأ بالذّي ثنى أو ثنى بالذّي ثلّث به لم تحصل لك تلك الصّورة وتلك الصّورة"[1] وبالتّالي فالفكرة تكون قبل النّطق بها والجانب العقليّ هو العامل الأساسي في عمليّة النّظم .

✓ **. التّأليف بطرق التّعلّق:**

والمراد بالتّعلّق الإسناد إذ لا فعل دون فاعل، والجرجانيّ يعتبر النّحو هو النّظم، ولا نظم دون توخّي معاني النّحو، والتّأليف بطرق التّعلّق هو انتظام معطيات داخل الجملة بشكل تامّ ومتكامل ليحصل النّظام اللّغوي، ويكون ذلك:

. بترتيب المعاني في النّفس أوّلا .

. ثمّ التّعليق على الأصوات والألفاظ وما تؤدّيه من معاني .

ومن ثمّ ترتيب الكلم.

. ثمّ اعتماد معاني النّحو[2].

والمبادئ الانسجاميّة التّركيبيّة عند البلاغيّين تتمثّل في أدوات :

أ . <u>نحويّـــــة</u>:

1. التّقديم والتّأخير:

---

[1] ـ المصدر السابق، ص:284

[2] ـ ينظر، صالح بلعيد، نظريّة النّظم، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، د ط، 2001م، ص:139

ويعتبر أحد أهمّ عوامل الانسجام التّركيبيّ ويقول فيه الجرجانيّ:"هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التّصرّف، جيّد العناية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوّل اللّفظ عن مكانه إلى مكان "[1]

فقد تطرأ على الجملة مقتضيات معنويّة تستلزم تغييرا في ترتيب ألفاظها، مع ضمان احتفاظ تلك الألفاظ بالعلامات الإعرابيّة نفسها التّي كانت عليها قبل التّغيير، ومن العلماء العرب من عني بهذه الظّاهرة النّحويّة إلى جانب الجرجانيّ، سيبويه(ت180هـ) الذّي قال في دواعي توظيفه: "كأنّهم إنّما يقدّمون الذّي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم"[2]، وبالتّالي فالتّأليف بتوظيف هذه الخاصيّة، مقصودا ويؤدّي غرضا بلاغيّا[3]. ولهذا عدّه عبد القاهر الجرجانيّ أحد دعائم نظريّته النّظميّة.كما قام بتقديم أمثلة عديدة لهذه الخاصّة النّحويّة والتّي منها قول إبراهيم بن العبّاس:

فلو إذا نَبا دَهر وأنكر صاحب وسُلّط أعداءٌ وغاب نصيرُ

تكون عن الأهواز داري بنجوةٍ ولكن مقادير جرت وأمورُ .

يقول عبد القاهر في معرض تحليله لهذه الأبيات: "فإنّك ترى ما ترى من الرّونق والطّلاوة، ومن الحسن والحلاوة، ثمّ تتفقّد السّبب في ذلك، فتجده إنّما كان من أجل تقديمه الظّرف الذّي هو (إذ نبا) على عامله الذّي هو (تكون)، وأن لم يقلْ: فلو تكون

[1] ـ صالح بلعيد: نظرية النظم، ص:106

[2] ـ سيبويه، الكتاب،ج1 ،ص:68

[3] ـ ينظر،عبد العزيز عتيق، علم المعاني،دار الآفاق العربيّة، القاهرة، د ط، 1962م، ص:116

عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر"[1] وهذا ممّا يؤكّد تحقّق الانسجام النصيّ التّركيبيّ من خلال آليّة التقديم والتّأخير.

ويعود توظيف آليّة التّقديم والتّأخير في البيان العربيّ إلى دافعين إثنين أحدهما :

التّخصيص أو مراعاة حسن النّظم في الكلام، وذلك بحسب ما أشار إليه ابن الأثير: "الذّي عندي فيه أنّه يستعمل على وجهين: أحدهما: الاختصاص، والآخر مراعاة نظم الكلام، وذلك أنّ نظمه لا يحسن إلّا بالتّقديم، وإذا أخّر المقدّم ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ و أوكد من الاختصاص"[2] والذّي نهدف إليه هو الغرض الثّاني الذّي يبيّن أنّ آليّة التّقديم والتّأخير تؤدّي دورا فعّالا في قضيّة الانسجام النصيّ. وهذا ما يتّضح في قول ابن الأثير: "وأمّا الوجه الثّاني _ الذّي يختصّ بنظم الكلام _ فنحو قوله سبحانه:﴿**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**﴾[3] فقد قدّم المفعول به على الفعل لضمان نظم الكلام، لأنّه لو قال: نعبدك ونستعينك، لم يقع له من حسن البيان ما وقع له في قوله "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين".

فخاصيّة التّقديم والتّأخير تدخل في باب الانسجام التّركيبيّ لأنّها متعلّقة بالشّكل الظّاهري للنصّ وبالقدرة على التّصرّف في مواضع مفرداته ليتمّ المعنى.

2. الــوصل:

لقد اهتمّ العرب القدامى بموضوع الفصل والوصل واعتُبر هذا الأخير من أهم مباحث البلاغة، ويعتبر الجاحظ هو أوّل من تطرّق إليه حين ذكر في كتابه "البيان والتبيين" من أنّه "قيل للفارسي: ما البلاغة؟،فقال: معرفة الفصل من الوصل"[4].

---

[1] ـ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص:86

[2] ـ أبو الفتح ضياء الدّين ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر، 1939م، ج2، ص:39

[3] ـ سورة الفاتحة، آية: 04

[4] ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين،ج1،ص:88

و"الوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى"[1] وقد عدّ البلاغيّون الوصل من أهمّ الأدوات التّي تصنّف ضمن وسائل السّبك النصّي أو الانسجام التّركيبي لأنّها تصل وصلا ظاهريّا بين جمل النصّ وعباراته"[2]

وقد صنّف الجاحظ مفهوم البلاغة الذّي يقوم على الوصل، على رأس تعريفات البلاغة التي سردها،لما رأي فيه من أهميّة، وقد تبعه في ذلك كلّ من الجرجاني والسّكاكي والخطيب القزويني، أعمدة البلاغة العربية حيث اعتبروا "**الفصل والوصل**" أصعب وأدقّ مبحث في البلاغة كلّها، يقول الجرجانيّ:" وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّه سُئل عنها فقال:" معرفة الفصل من الوصل"، ذاك لغموضه ودقّة مسلكه،وأنّه لا يَكمُل لإحراز الفضيلة أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة "[3].

فجعل الجرجاني لبلوغ ملكة البلاغة إتقان مواطن الفصل من الوصل، وأنه من بلغ هذا سهلت عليه بقيّة أبوابها.

أما السّكاكي فقد حاول التّخفيف من شدّة التّهويل الذي عقله الجرجاني الذي قصر امتلاك البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، ويرى من أنّ اتّخاذ الجرجاني لهذا الموقف "إنّما حاول بذلك التّنبيه على مزيد غموض هذا الفنّ، وأنّ أحدا لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة إلّا إذا كان خلّف سائر عقباتها خلفه"[4]. وهذا ممّا يثبت اهتمام علمائنا بهذا المظهر البلاغي وهو أحد أهمّ أدوات الانسجام التّركيبي.

---

[1] ـ السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن خلدون، الاسكندريّة، د ط، د ت، ص: 196-197

[2] ـ ينظر، محمد خطابي، انسجام النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:13

[3] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص:222

[4] ـ محمد بن علي السكّاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه وكتب هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط 1، 1983م، ص:251

ويعدّ الجرجاني أوّل من قعّد لهذه الظّاهرة النّحويّة من زاوية بلاغيّة، حيث يتّخذ منعطف المفرد على المفرد أساسا يبني عليه قاعدته في عطف الجملة على الجمل، إذ يرى أنّ فائدة الوصل بالواو . أو "**العطف**"في المفرد اشتراك الثّاني في إعراب الأوّل، وبالتّالي في حكمه الإعرابي، أي أنّ "الواو" العاطفة تنقل الحكم الإعرابي إلى الثّاني،فإذا كان المفرد الأوّل مرفوعا أو منصوبا او مجرورا تبعه المفرد الثّاني في ذلك، كأن تقول: "جاء زيدٌ وعليٌّ"، "أكرمت زيدًا وعليًّا"،و"مررت بزيدٍ وعليٍّ". ويستعمل الوصل في هذه الحالة تجنّبا لتكرار الفعل، إذا فهو يحقق الانسجام التّركيبيّ.

وعلى هذا الأساس، يقيس الجرجانيّ وصل جملة مع جملة أخرى والذّي يكون وفق حالتين:

- ✓ وصل جملة مع أخرى لها محلّ من الإعراب، فإن كانت كذلك وقع العطف كما في المفرد كأن تقول: مررت برجل خُلقه حسن، وخَلُقه قبيحٌ. فكلتا الجملتين صفة للنّكرة، وقد انتقل الحكم الإعرابيّ إلى الثّانية بواسطة الواو.[1]
- ✓ وصل جملة مع أخرى لا محلّ لها من الإعراب،كقولك:محمد قائم وعليّ قاعد، يعلّق الجرجانيّ على هذا المثال بقوله " لا سبيل لنا إلى ادعاء أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه".[2]

وبالتالي لكي تعطف جملة على أخرى يجب أن نراعي الشّروط الآتية:

. أن يكون حكمها حكم المفرد.

. أن يكون للجملة الأولى محلّ من الإعراب.

. أن تنقل الواو إلى الجملة الثّانية حكما وجب للأولى.

---

[1] ـ ينظر، محمد خطابي ،لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي،المغرب،2006م، ط2، ص:100-101

[2] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز،223

ينطلق الجرجاني من عطف المفرد على المفرد كأصل يبني عليه عطف الجملة على الأخرى، خاصّة في عطف الجملة على التي لها محلّ من الإعراب، ويوضّح هذا في قوله" وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد..."[1]

أما وصل الجمل على التّي لا محلّ لها من الإعراب، وبما أنّ إشراكهما العطف على الحكم الإعرابيّ معدوم فقد بحث عبد القاهر عن معان أو دواع معنويّة يقع الإشراك فيه، من هنا سعى عبد القاهر إلى تفسير هذا الضّرب من العطف في ضوء ثلاث معايير: الشّبيه والنّقيض والنّظير، معنى الجمع، التّضام النّفسيّ والتّضام العقليّ:

3 . الشّبيه والنّظير والنّقيض:

ويعني جواز الوصل أو العطف معنويّا عند امتناعه شكليّا، وهذا المبدأ خاصّ بما يسمّيه الجرجانيّ بالخبر الأوّل والخبر الثّاني .

ويشترط في جواز العطف أو الوصل أن يكون بين الخبرين علاقة معنويّة إمّا شبيهين أو نظيرين أو نقيضين.ونستدل لتوضيح ذلك بالأمثلة التّالية:

. محمد طويل القامة ومحسن شاعر.

. محمد طويل القامة ومحسن قصير.

. محمد كاتب ومحسن شاعر.

فالوصل الأوّل نادر وشاذّ لأن الخبرين مختلفين دلاليّا،ولا توجد علاقة تبرّر الوصل أو العطف بينهما، والأجدر أن يؤتى بخبرين متوافقين دلاليّا، فإمّا طول القامة مع القصر، أو الكتابة مع الشّعر.[2]

[1] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:224

[2] ـينظر، محمد خطابي، لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب،ص:103

4 . معنى الجمع:

يرى الجرجاني أنّه قد يؤتى أحيانا بالواو بغرض الجمع،ولابدّ حينئذ من وجود تبرير أو معنى لهذا الجمع،فمجيء الواو في قولنا (محمد قائم ومحسن قاعد) فالواو ههنا لا تحمل حكما معها سوى حملها معنى السببيّة، فقعود محسن بسبب قيام محمد، فهما كالنّظيرين و الشّريكين، بحيث إذا عرف السّامع أو المخاطب حال الأوّل عناه أو اهتمّ بمعرفة حال الثّاني، لأن عطفك أو وصلك شيئا بآخر ليس منه بسبب،ولا مما يستلزم ذكرَه بذكرِه ، ولا متّصل حديثُه بحديثِه ، ينقص من استقامة الكلام.

ولهذا عابوا أبا تمام قوله:

لا والذي هو عالـم أن النَّوى صَبِرٌ وأنَّ أَبا الحُسيْنِ كَرِيـمُ

وذلك لعدم وجود علاقة أو مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النّوى.[1]

5. التّضام النّفسي والعقلي:

- **<u>التّضام النّفسي</u>:**

وهذا الوصل أو العطف مبرر سبب الوصل بين ركنيه تداولي . نفسي . ، يكتشفه المتلقّي من خلال علاقته بالخطاب أو النصّ، بحيث تعود مقبوليّة العطف إلى أسباب تداوليّة لا معنويّة ،و ويوضّح الجرجاني بضرب المثال التالي: (عمرو قائم وزيد قاعد)، فالشّخصان في ذهن المتلقّي لا يفترقان سواء "كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة التي كانت الحال التي يكون عليها الثّاني من قيام أو قعود، أو ما شاكل ذلك من غير شكّ"[2] وهذا المبدأ نسبي وخاصّ لأن اقتران الأشخاص في أذهان المتلقّين مختلف من شخصٍ إلى آخر، ولا يمكن أن تعمم هذه المعرفة أو العلاقة.

---

[1] ـ ينظر، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:224-225

[2] ـ المصدر السابق،ص:225

- **<u>التّضام عقلي</u>** :

وهذا النّوع من الوصل عامّ لأنّه مرتبط بالوقائع (أو المعاني كما اصطلح الجرجانيّ)، ومثال ذلك قولنا :

. العلم يعلي شأن صاحبه والجهل يدني.

. العدل مطلوب في الإسلام والظلم محظور.

. الاجتهاد حسن والكسل قبيحٌ.

فالمبرّر الدّلالي للعطف أو الوصل كون الخبر عن الثّاني مضادّا للخبر عن الأوّل، والتّداوليّة ههنا في كون الواقعتين متضامّنتين عقليّا بالنّسبة لجميع الأمم.[1]

وبهذه الكيفيّة يبرهن الجرجاني عن صلاحيّة مبدأ عامّ وضعه خلال حديثه عن العطف أو الوصل قائلا: "لا يتصوّر إشراك بين شيئين حتّى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه"[2]

نستنتج من جملة ما سبق أنّ العطف أو الوصل بين الجمل . في نظر الجرجانيّ . لا يحكمه مبدأ نحوي وهو الحكم الإعرابي فقط، وإنّما تحكمه مبادئ متنوّعة: من معنى الجمع، إلى وصل نفسي، وآخر عقلي، وهي مبادئ دلاليّة معنويّة، تبرّر الوصل النّحوي.

6. الشّرط والجزاء:

يقول الجرجاني:"ومما يقلّ نظر النّاس فيه من أمر العطف أنّه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان. وهذا فنّ من القول خاصّ دقيق"[3]، ويضرب الجرجاني لهذا النّوع من الوصل المثال التالي:

---

[1] ـ ينظر، محمد خطابي: لسانيات النصّ،مدخل إلى انسجام الخطاب،ص:104

[2] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز،ص:224

[3] ـ المصدر السابق ، ص:244

تولوا بغتة فكأنّ بينـــاً تهيبني ففاجأني اغتيالا

فكان مسير عيسهم ذميلا وسير الدّمع إثرهم انهمالا.

اعتمد الجرجاني في تحليل هذا النّوع من الوصل أو العطف على أسلوب الشّرح مع القياس:

أ. طريقة الشّرح:

من الممكن أو المحتمل أن يجعل القارئ للبيتين: (فكان مسير عيسهم ذميلا) معطوفا على (ففاجأني اغتيالا)، و(بينا) معطوفة على (تولوا بغتة)، والقرينة التي منعت العطف الأوّل في رأي الجرجانيّ هي (كان) التي تفيد التّوهّم، ولأنّ ما دخلت عليه أداة التّشبيه هذه واقع في حيّز المتوهم، وقوله(فكان مسير عيسهم ذميلا) حقيقة، امتنع أن تعطف هذه على تلك، لأنّها إن جعلت معطوفة عليها غدا (مسير العيس) متوهّما بينما هو حقيقة.

والقرينة الثّانية المعتمدة في امتناع هذا العطف قرينة منطقيّة ذلك أنّ الجرجاني اعتبر الجملة الدّاخلة في المتوهّم مسببا (فكأن بينا تهيبني)، وجملة تولّوا بغتة سببها، وعلى هذا النّحو يكون المعنى.[1]

ب . طريقة القياس:

يقول الجرجانيّ:" ينبغي أن يجعل ما يصنع من المعنى في الشّرط والجزاء أصلا يعتبر به"[2]

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾[3]، فالشّرط هنا واقع في الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها لا

[1] ـ ينظر، الجرجاني،دلائل الإعجاز ص:244

[2] ـ المصدر السابق ص:246

[3] ـ سورة النّساء، آية: 112

في كلّ واحدة على الانفراد "لأنّنا إن قلنا إنّه في كلّ واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين، وليس معنا إلّا جزاء واحد"[1]

هذا من حيث القرينة النّحويّة، أمّا المعنويّة فنحن نعلم "أنّ الجزاء الذي هو احتمال البهتان والإثم المبين، أمر يتعلّق إيجابه بمجموع ما حصل من الجملتين فليس هو لاكتساب الخطيئة على انفراد،ولا لرمي البريء للخطيئة،أو الإثم على الإطلاق، بل لرمي الإنسان البريء بخطيئة أو إثم كان من الرّامي..."[2]

إنّ قياس الجرجانيّ هذا النّوع من العطف على الشّرط والجزاء، ليظهر الطّبيعة المركّبة لعطف المجموع على المجموع، من أجل تمام الكلام واستقامة المعنى وبالتّالي تماسك الخطاب.

7. الفصل:

الفصل في الجمل ترك العطف، ويرى الجرجاني أنّ العطف قد لا يروق في كلّ سياق، ولا يعذب في كلّ حين، فيستحسن تركه، والاستغناء عنه، وعندئذ لا يؤدّي ترك العطف إلى افتراق الجمل والعبارات، وتجريدها من التّرابط، بل يبدو الكلام أشدّ ترابطا منه في وجود العطف.[3]

فعلاقة الفصل بين الجمل المشكّلة للخطاب، لا تعتمد على رابط لفظي ظاهر مثل حرف العطف بل تعتمد على علاقة خفيّة قائمة بينها.[4]

أ . التّأكيد:

من الأمثلة التّي أوردها الجرجانيّ في كتابه، قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِم وَعَلَى**

[1] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:246

[2] ـ ينظر،المصدر السابق،ص:227

[3] ـ ينظر،عبد الخالق فرحان شاهين،(أصول المعايير النصيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب)،(رسالة ماجستير)، غير منشورة، جامعة الكوفة، قسم اللغة العربيّة، ص:114

[4] ـ ينظر، محمد خطابي، لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:107

أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم[1]﴾ فقوله تعالى: ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ تأكيد لقوله سبحانه:﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَم لَمْ تُنْذِرْهُمْ**﴾ . وقوله :﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ** ﴾ تأكيد ثان أكثر وقعا في النّفس من الأوّل، لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في ظلمات الجهل وكان مطبوعا على قلبه.

نحن في هذه الآية أمام تأكيدين اثنين كلّ منهما يضيف تأكيدا للمعنى ويزيده قوّة.[2]

ب . صيغة الخطاب:

يقول الجرجانيّ:"وممّا هو أصل في هذا الباب أنّك ترى الجملة وحالها مع التّي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثمّ تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر فيها صارت به أجنبيّة ممّا قبلها "[3]

ونأخذ مثالا لذلك تحليل الجرجانيّ مجيء قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[4]﴾ مفصولة عن الجملة السّابقة عليها مباشرة وهي " إنّما نحن مستهزئون" من قوله تعالى حكاية لكلام المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ[5]﴾إذ يرى وحدة في الموقف، وتماثلا في نوع الصيغة ، من حيث أنّ كلا الجملتين خبريّة في لفظها ومعناها، وذلك مسوغ كافٍ لعطف الثّانية على الأولى، إلّا أنّ كون أولاهما حكاية لكلام المنافقين ، وكانت الثّانية إخبارا من الله تعالى يتضمّن جزاءهم على كفرهم واستهزائهم كان "العطف ممتنعا لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم ، ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبرًا من الله

---

[1] ـ سورة البقرة ـ آية: 06-07-

[2] ـ ينظر، عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز،ص:234-235

[3] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:236

[4] ـ سورة البقرة ـ آية:15

[5] ـ سورة البقرة ـ آية: 14

تعالى إلى كونه حكاية عنهم، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنّهم مؤاخذون، وأنّ الله تعالى معاقبهم عليه".[1]

ج . الاستفهام المقدّر:

كذا من دواعي فصل كلام عن آخر سابق عنه وجود سؤال مقدّر غير متجلّ في سطح الخطاب، والذي يدعو إلى تقدير هذا السّؤال هو بناء الخطاب في شكل ثنائيّة مكوّنة من (سؤال مقدّر/ جواب ظاهر). ويمثّل الجرجانيّ لهذا النّوع من الفصل بنصّ من القرآن الكريم: قال تعالى: **﴿قال فِرْعَوْنُ وَمَا رَبّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَه أَلَا تَسْتَمِعُونَ، قَالَ رَبُّكُم وَرَبّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ[2]﴾**

يقول الجرجانيّ أنّ الفصل بين هاته الآيات قد "جاء كلّه والله أعلم على تقدير السّؤال والجواب كالذي جرت به العادة بين المخلوقين"[3]والذّي هو غنيّ عن البيان أنّه لم يربط رابط شكلي ما بين ثنائيّة (سؤال مقدّر/ جواب في الخطاب) القرآنيّ السّالف، إلّا أنّ الخطاب مع ذلك منسجم متكامل بالنّسبة للقارئ أو المتلقّي.

يختم الجرجانيّ حديثه عن الفصل والوصل بقوله:" وإذا قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها فاعلم أنّا حصلنا على ثلاث أضرب:

- جملة حالها مع التّي قبلها حال الصّفة مع الموصوف والتّأكيد مع المؤكّد فلا يكون فيها العطف البتّة لشبه العطف فيها، لو عطفت، بعطف الشّيء على نفسه.

[1] ـ الجرجاني، المصدر السابق، ص: 236
[2] ـ سورة الشّعراء، آية: 23-26
[3] ـ الجرجاني، المصدر نفسه، ص:241-242

- جملة حالها مع التّي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلّا أن يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا...فيكون حقّها العطف.
- جملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التّي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إيّاه،ولا مشاركا له في معنى...وحقّ هذا ترك العطف"[1] والحالة الأولى يسمّيها السكّاكي: كمال الاتّصال، والثّانية: بين بين،والثّالثة: كمال الانفصال.[2]

8 . الحذف:

لقد تناول علماء البلاغة الحذف في مباحث علم المعاني، وعدّوه من أسباب صفاء العبارة وقوّة الإيحاء وسبك البناء[3]، ولقد وصفه إمام البلاغة عبد القاهر الجرجانيّ فقال:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"[4]

وقد اصطلحت البلاغة العربيّة على الحذف بمصطلحات عدّة منها: الإيجاز والإشارة والاختصار، وهو يأتي على وجوه: إمّا حذف جملة أو تركيب، أو حذف ما ليس بجملة ولا تركيب.[5]

---

[1] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:243

[2] ـ ينظر السكّاكي، مفتاح العلوم، ص:248، وما بعدها

[3] ـ ينظر،عبد الخالق فرحان شاهين،أصول المعايير النصيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب، ص:104(منقول)

[4] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:146

[5] ـ ينظر، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، دت، دط، ص:16

وقد أشار "**سيبويه**" إلى الحذف من خلال حديثه عن "**الإيجاز**" وذلك في وصفه لبنية بعض التّراكيب اللغويّة، إذ يقول: " اللّيلة الهلال، وإنّما الهلال في بعض الليل، وإنّما أراد اللّيلة ليلة الهلال، ولكنّه اتّسع وأوج"، إلى أن يقول: "على ما ذكرت لك من سعة الكلام والإيجاز"[1]

ولقد قدّم أبو الحسن الرمّانيّ تعريفا مفصّلا للإيجاز في قوله: "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبّر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبّر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز، ويرد الإيجاز على وجهين: حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف"[2] والذّي نروم إليه هو إيجاز الحذف ودوره باعتبار أنّه من بين أهمّ وسائل الانسجام التّركيبيّ، ونلمس هذه الإشارة عند أبي الحسن الرمّانيّ الذّي أشار إلى حسن الإيجاز وفضيلته في الكلام: " الإيجاز تهذيب الكلام بما يجسن به البيان والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدّرن"[3]

كما أشار ابن جنّي إلى أنّ الحذف لا يقتصر في حذف كلمة وإنمّا يتعدّى أحيانا ذلك إلى حذف جملة، حيث يقول: " قد حذفت العرب الجملة والمفرد، والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب بمعرفته"[4]

---

[1] ـ سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ص:276

[2] ـ النكت للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، د ت، ص:76-

[3] ـ المصدر السابق، ص:80

[4] ـ عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النصيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب، ص:106(نقلا عن الخصائص لابن جنّي)

ويضرب ابن جنّي مثالا لحذف الجملة: "النّاس مجزيّون بأفعالهم إن خيرا فخيرا وإن شرّا فشرّا، أي إن فعل المرء خيرا جزي خيرا، وإن فعل شرّا جزي شرّا"[1]

كما اهتمّ عبد القاهر الجرجانيّ من خلال الأمثلة التّي ساقها من تراكيب قرآنيّة وشعر ونثر، ويتجلّى في بعض تلك الأمثلة إشارته إلى دور الحذف في توفير الانسجام التّركيبيّ، ومنها قول البحتري:

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرماً، ولم تهدم مآثر خالد.

يقول عبد القاهر: " الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللّفظ فليس يخفى أنّك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله، فقلت: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، صرت إلى كلام غثّ،وإلى شيء يمجّه السّمع وتعافه النفس"[2]وحذفت جملة الشّرط لدلالة المتقدّم عليها. وعلى هذا عدّ الحذف وسيلة من وسائل الانسجام التّركيبيّ النّحوية، لأنّه يقع في سطح النصّ ويعامل معاملة المذكور من حيث المعنى.[3]

ب . معجميّـــــــة:

سنحاول في هذا القسم ذكر المظاهر الخطابيّة ذات السّمة البلاغيّة، والتّي عُني بها البلاغيّون وصنّفوها في باب البديع وسمّوها "**محسّنات بديعيّة**"، وسنحاول تحديد هذه المظاهر وإبراز دورها في الانسجام التركيبي للخطاب وكذا تحديد الفروق فيما بينها.

1 . الطباق:

1 ـ عبد الخالق فرحان شاهين: أصول المعايير النّقديّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص:106(منقول)

2 ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:163

3 ـ حسن سعيد بحيري، علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م، ص:172

يقول ابن المعتزّ :" قال الخليل رحمه الله : يقال طابقتا بين الشّيئين إذا جمعت بينهما على حدّ واحد"[1]

وقال العسكري:" قد أجمع النّاس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة، أو الخطبة، أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسّواد واللّيل والنّهار...والطّباق في اللّغة الجمع بين الشيئين، يقولونّ طابق فلان بين ثوبين"[2] وكلّ فقرة من فقر الظّهر والعنق طبق وذلك أنّ بعضها منضود على بعض"[3]

وأمّا السّجلماسيّ فقال:" الطّباق قول مركّب من جزأين كلّ واحد منهما هو عند الآخر بحال منافريه...وجماع ذلك وضع الأشياء المتقابلة بحذاء بعض"[4]

ومن أمثلة المطابقة كما جاءت في مؤلّفات هؤلاء:

قال تعالى: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**[5]﴾

وقال عليه الصّلاة والسّلام للأنصار:" **إنّكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطّمع**"

وأمّا من الشّعر فقول المتنبيّ:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصّبح يغري بي.

وقال الثّعالبي:" ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات، ولكنّه لا يستقلّ إلّا بإنشاد بيتين قبله"[6] وهي:

---

[1] ـ عبد الله ابن المعتزّ، البديع، دار الجيل،دب، ط1، 1990م ، ص:36

[2] ـ المرجع السّابق، ص:130-131

[3] ـ المرجع نفسه،ص:131

[4] ـ السّجلماسيّ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب، د ط، د ت، ص:370

[5] ـ سورةالحديد ـ آية:23-

[6] ـ السجلماسي، المنزع البديع، ص: 380

عذيري من الأيّام مدّت صروفها إلى وجه من أهوى يد النّسخ والمحو

وأبدت بوجهي طالعات أرى بها سهام أبي يحي مـــــدده نحــوي

فذاك سواد الحظّ ينهى عن الهوى وهذا بياض الـوخط يأمر بالصّحـو.

من خلال الأمثلة النصيّة السّابقة نلاحظ أنّ المطابقة تقوم بين بعض عناصر النّص الأدبي ولا تتعدّاه إلى النصّ بكليّته. ورغم اجتهاد البلاغيين في رصد معظم الأقوال والأبيات المنظومة التّي تعتمد على المطابقة فقد توقّفوا عند حصر هذه النّماذج دونما أيّة محاولة لإبراز دور هذه الآليّة في انسجام النصّ تركيبيّا.

2 . ردّ العجز على الصّدر:

يقوم هذا المظهر بربط شطري البيت الواحد ارتباطا معنويّا وثيقاً، وسنحاول الوقوف عند أهمّ المفاهيم المتعلّقة بهذا المظهر.

قال ابن المعتزّ:"هو ردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها، وهذا الباب ينقسم على ثلاثة أقسام (ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه، ما يوافق آخر كلمة منه أوّل كلمة في نصفه الأوّل، ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه"[1]

وقد طرحه أبو هلال العسكري في قوله:" أوّل ما ينبغي أن تعلمه أنّك إذا قدّمت ألفاظا تقتضي جوابا، فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ في الجواب ولا تنتقل عنها إلى غيرها ممّا هو في معناها....ولردّ الأعجاز على الصّدر موقع جليل من البلاغة وله من المنظوم خاصّة محلّ خطير، وهو ينقسم أقساما"[2] وهي نفس الأقسام التيّ ذكرها ابن المعتزّ، إلّا أنّ العسكري يستعمل البيت بدل الكلام.

[1] ـ محمد خطابي، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:132

[2] ـ المرجع السابق، ص:132-133.(منقول)

ويعرّفه السّجلماسيّ على أنّه:" قول مركّب من جزأين متّفقي المادّة والمثال، كلّ جزء منهما يدلّ على معنى هو عند الآخر بحال ملائميه، وقد أخذا من جهتي وضعهما في الجنس الملائم من الأمور، ووضع أحدهما صدرا والآخر عجزا مردودا على الصّدر بحسب هيئة الوضع اضطرارا، ومعنى ذلك أنّه، لمّا قد تقرّر، ينبغي أن يكون أحد الجزئين . وهو العجز ضرورة . كائنا من القول في الخاتمة، والنّهاية، والآخر فقط دون تضاعيفه وأثنائه."[1]

اتّفقت التّعريفات السّابقة على كون مدار ردّ العجز على الصّدر هوّ ورود كلمة في الشّطر الأوّل والثاني معا، وإذا كان ثمّة اختلاف بين هذه التّعريفات فهو متعلّق بالتّقسيمات، أي مواقع ورود هذه الكلمة، وبالتّالي فهو مظهر خطابي معجمي قائم على الإعادة(إعادة نفس الكلمة).[2]

وهذا ما يتّضح في الأمثلة التّالية:

أ . **سريع إلى ابن العمّ يشتمّ عرضه وليس إلى داعي النّدى بسريــع**

ب **. يلفى إذا ما الجيش كان عرمرماً في جيش رأي . لا يفل . عرمرم**

ج **. سقى الرّمل جون مستهلّ غمامة وما ذاك إلّا حبّ من حلّ بالرّمل**

د **. يودّ الفتى طول السّلامة والغنى فكيف ترى طول السّلامة تفعل**

وهكذا يقوم العنصر المعجمي المعاد بربط شطري البيت الواحد بعضه بعضا.[3]

[1] ـ السجلماسي، المنزع البديع، ص:406
[2] ـ محمد خطابي، لسانيات ا لنص ، ص:133
[3] ـ المرجع نفسه ، ص:133-134

3 . التّكرار :

لقد تناول علماء البلاغة العربيّة ظاهرة التّكرار بوصفها أصلا من أصول البديع عند: ابن رشيق القيروانيّ، وابن أبي الإصبع المصريّ وبدر الدّين بن مالك والسّجلماسيّ. وحدّ

التّكرار عندهم " هو دلالة اللّفظ على المعنى مكرّراً"[1]

وقد عرّف السّجلماسيّ التّكرار بقوله:" هو إعادة اللّفظ بالعدد أو بالنّوع(أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنّوع) في القول مرّتين فصاعدًا."[2]

لقد حدّد السّجلماسيّ في هذا التّعريف التّكرار على وجهين، فأحدهما تكرير لفظي سمّاه المشاكلة، وآخر معنوي سمّاه المناسبة.

فأمّا التّكرار اللّفظيّ أو بتعبير اللّسانيّات النصيّة(إعادة العنصر المعجميّ نفسه) فقد جعله على أنواع إلّا أنّ أكثرها تداولا بين الأدباء هيّ :

✓ **. البنـــــاء :**

فأمّا البناء ، وهو بالنّظر إلى المصطلح يحمل دلالة الرّبط والتّلاحم، وهو إعادة اللّفظ بمعناه في غير موضع، "خشية تناسي الأوّل لطول العهد به في القول"[3]

ويميّز السّجلماسيّ بين نوعين من البناء : أوّلهما يسمّيه الصّورة الجزئيّة والثاني طريقة الإجمال والتّفصيل.

[1] ـ محمد خطابي: لسانيلت النص، ص:135
[2] ـ السجلماسي، المنزع البديع، ص:476
[3] ـ المصدر السابق، ص:476

فمثال الطّريقة الأولى قوله تعالى:﴿**أَيَعِدُكُم أَنَّكُم إِذَا مِتُّم وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُخْرَجُونَ**﴾[1] فقوله (أنّكم) الثّانية بناء على الأوّل و إذكار به خشية تناسيه لطول العهد به"[2]

وأمّا الطّريقة الثّانية فهي بناء بطريقة الإجمال والتّفصيل ،" وذلك بأن تتقدّم التّفاصيل والجزيئات في القول، فإذا خشي عليها التّناسي لطول العهد بها بني على ما سبق منها بالذّكر الجمليّ، وأذكرت الجزيئات الدّاخلة في ضمن المقتضى الأوّل به"[3]، ومن أمثلته قوله تعالى:﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِم الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقّ وَقَوْلِهِم قُلُوبُنَاغُلْف بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**[4]﴾.

يعلّق السّجلماسيّ قائلا:" (فبظلم) بناء بالذّكر الجمليّ على ما سبق في القول من التّفصيلي، وذلك أنّ الظّلم جمل ما سبق من التّفاصيل من النّقض والكفر،وقتل الأنبياء"[5] تعدّ كلمة (ظلم) من النّاحية المعجميّة عنصرا عامّا تندرج فيه كل الجزيئات والتّفاصيل السّابقة عليه وكذلك اللّاحقة.

- ✓ **. المناسبة :**

يقول السّجلماسيّ :"ليس ينبغي أن يظنّ بنا أنّا نريد باسم المناسبة الذي ترادف به التّكرير المعنويّ ، أن يكرّر المتكلّم المعنى الواحد بالعدد في القول مرّتين فصاعدا،

---

[1]- سورة المؤمنون - آية :35

[2] . السّجلماسيّ ،المنزع البديع، ص:477

[3]. المصدر السابق، ص:478

[4] . سورة النّساء . آية:155

[5] . السجلماسيّ، المصدر السابق ، ص:479

لأنّ ذلك ليس من القول مغسولا خلوّا من البديع، وعطلا عريّا من البيان فقط، بل مرذولا غثّا، مستكرها رثّا..."[1]

لقد نبّه السّجلماسيّ في هذه المقولة إلى قاعدة مهمّة من قواعد انسجام الخطاب ، وهي عدم تكرير معنى واحد مرّة أو أكثر، لأنّه في حالة حدوثه سيعتبر حشوا لا طائل منه، وهو ينبّه إلى أنّ ما يقصده من المناسبة(التّكرير المعنويّ) هو "إيراد المعنى وما يليق به"[2]

والمناسبة عند السّجلماسيّ "تركيب القول من جزئين فصاعدا كلّ جزء منهما مضاف إلى الآخر ومنسوب إليه بجهة ما من جهات الإضافة، ونحو من أنحاء النّسبة"[3] وبما أنّ ايراد ما يليق بالمعنى تحديد عامّ فقد صنّف السّجلماسيّ جهات المناسبة إلى ثلاث:

- **إيراد الملائم:** وهي أن يؤتى بالشّيء وشبيهه، مثل: الشّمس والقمر، السّرج واللّجام، والسّيف والفرند...
- **إيراد النّقيض:** أي أن يؤتى بالأضداد مثل: اللّيل والنّهار، والصّبح والمساء، والحياة والموت...
- **الانجرار:** وهو أن يؤتى بالشّيء وما يستعمل فيه، مثل: القوس والسّهم،الفرس واللّجام، القلم والدّواة...[4]

وأمّا ابن الأثير فقد اختلف تعامله مع ظاهرة التّكرار في القرآن الكريم، حيث كان يفسّره ويفسّر فائدته في إطار السّياق المقالي والمقاميّ، فمن التّكرار اللّفظيّ ما يدلّ على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان، كقوله تعالى : ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُم اللَّهُ**

[1] ـ السجلماسي، المنزع البديع ، ص:479
[2] ـ المصدر السابق ، ص:479
[3] ـ المصدر نفسه ، ص:512
[4]ـ ينظر، نفسه ، ص:518

إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْكَرِهَ الْمُجْرِمُونَ[1]﴾ فهذا تكرير للمعنى واللّفظ، وهو قوله ﴿**يُحِقَّ الْحَقَّ**﴾ و ﴿**ليحقّ الحقّ**﴾ وإنّما جيء به هاهنا لاختلاف المراد وذاك أنّ الأوّل تمييز بين الإرادتين، والثّاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشّوكة على غيرها، وأنّه ما نصرهم وخذلهم إلّا لهذا الغرض.[2]

وقد تناول ابن القيّم التّكرار وبيّن دوره في وصل أوّل الكلام بآخره، فقال:" وقد يكرر الكلام طلبا لدوام تذكّر الإرهاب كما في قول الله عزّ وجلّ :﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ في سورة الرّحمان.[3]

3 . المبادئ الدّلاليّة:

وهي عبارة عن أدوات دلاليّة، تساهم في تحقيق الانسجام الدّلاليّ :

أ . المقام :

يعدّ المقام من أهمّ العناصر التّي عني بها البلاغيّون وذلك لأهميته في تحديد معاني الأحداث واعتبروه من أهم العوامل التّي تسهم في انسجام النصّ دلاليّا، "فانطلقوا في مباحثهم من فكرة ربط الصّياغة بالسّياق،وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، أي مقتضى الحال"[4]وذلك في اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فكان من مقولاتهم الشّهيرة (لكلّ مقام مقال) و (لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام)

---

[1] ـ سورة الأنفال، آية: 07-08

[2] ـ ينظر، عبد الخالق فرحان شاهين،أصول المعايير النصيّة في التّراث النقدي والبلاغي عند العرب،ص:106

[3] ـ المرجع السابق، ص :108(منقول)

[4] ـ عاصم شحاده علي، مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، 2009، ص:336

والمعنى عند البلاغيين لا ينحصر في السّياق اللغوي (المقال)، بل يتجاوزه إلى سياق الحال (المقام)، وقد اعتمد بشر بن المعتمر هذا المبدأ البلاغيّ في قوله :" والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة ، وليس يقبح بأن يكون من معاني العامّة، وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال"[1]

وقد اهتمّ البلاغيّون بملمح المقام واعتبروه أصلا لما يمكن أن توصله الرّسالة اللّغويّة، وتنوّعت تعليقاتهم حوله في إطار بحوثهم المختلفة للنصّ القرآنيّ، فنجد من بينهم أبا عبيدة الذي أشار إلى الكيفيّة التّي يتمّ التّوصّل بها إلى فهم معاني القرآن، وإدراك دلالاته المتنوّعة وذلك بحسب السّياق أو المقام الذّي ترد فيه، وكان هذا حافزه الأساسي لوضع [2]كتابه (مجاز القرآن).

كما نجد القزوينيّ في تحديده مفهوم البلاغة عنايته بجانب السّياق وما يتلاءم معه من ألفاظ مناسبة تقتضي وصول الكلام تامّا فصيحا، وهو ما يعرف بسياق الموقف أو المقام، أو كما يسمّى عند البلاغيّين مقتضى الحال.[3]

ويؤكّد الجاحظ على أهميّة مراعاة المقام أثناء عمليّة التّواصل في قوله:"لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللّفظ ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من اللّفظ ولذا يجب افهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[4]

---

[1] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:136

[2]ـ ينظر،أبو عبيدة معمر بن مثنّى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، د ط، د ت، ص:18-19

[3]ـ ينظر، القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص:16-17

[4]ـ الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، ص:133

فنجد من البلاغيّين من اهتمّ به بتوظيفه عند حدوث لبس أو غموض في تحديد المعنى، فالمبرّد مثلا ركّز على أنّ اللّفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنته بما يصلح حدث المعنى.[1]

وكما ألحّ سيبويه على، ضرورة وجود الضّمير الذّي يحيل على السّابق وإلّا يصبح الكلام غير حسن.[2]

ولقد أوصى ابن قتيبة بوجوب مراعاة مقتضى الحال عند ممارسة الصّنعة، وذلك على مستوى الألفاظ وكذا المعاني على السّواء، حيث يقول :" ونستحبّ له (أي الكاتب) أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب المكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس النّاس رفيع الكلام، و لا رفيع النّاس وضيع الكلام"[3]

وأمّا الرمّاني (396هـ) فقد اتّضح في كلامه إدراكه التّام بأهميّة السياق في تحديد محتوى الرّسالة اللغويّة، وذلك لما تحمله من انزياحات في التّركيب أو في الدّلالة عن طرق توظيف فنّيات الحذف والاختصار والتّقديم والتّأخير.[4]

ويلخّص ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطّلحي مفهوم السّياق في التّراث البلاغي في النّقاط الثّلاث الآتية :

. **الأولى** : أنّ السّياق هو الغرض : أي مقصود المتكلّم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التّي عبّر عنها بلفظ السّياق.

. الثّانية : أنّ السّياق هو المواقف والظّروف والأحداث التّي ورد فيها النصّ أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبّر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام.

---

[1] ـ ينظر، المبرّد، المقتضب، ج 4، ص:126-127

[2] ـ ينظر، صبحي إبراهيم الفقّي، علم اللغة النصّي، ج1،ص:130

[3] ـ المرجع السابق، ص:130

[4] ـ ينظر المرجع نفسه، ص:130

. الثّالثة : أنّ السّياق هو ما يعرف الآن بالسّياق اللّغوي الذّي يمثّله الكلام في موضع النّظر والتّحليل ، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التّحليل) أو يجعل منها وجها استدلاليّا.[1]

ب . التّشبيه:

يحتلّ التّشبيه دورا مهمّا في سيرورة الخطاب وذلك من خلال قدرته على الجمع بين عناصر متباينة في الوجود الخارجي عن النصّ، حين يروم التّعبير عن شيء لا يتأتّى إلّا من خلال هذه الوسيلة ليزداد معنى ذلك الشيء قوّة وجمالا أيضا، ويعدّ "التّمثيل تشبيها إلّا أنّه يختلف عنه في طريقة صياغته وطريقة تفكيكه بغية الوصول إلى المعنى الذّي ينقله."[2]

وقد تنبّه الجرجانيّ إلى الدّور البارز الذّي يلعبه في انسجام الخطاب حين اختار مثالا بالغ الدّلالة من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**[3]﴾.

إنّ التّشبيه أو الرّبط بين الحياة والماء وما تعلّق به " منتزع من مجموع هاته الجمل من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، وإفراد شطر من شطر حتّى إنّ كل وحذفت منها جملة واحدة من أيّ موضع كان أخلّ ذلك بالمغزى من التّشبيه" نرى أنّ فهم التّمثيل على النّحو الذّي عرضه الجرجانيّ يجعل منه "آلة لنسج خيوط خطاب ما مكوّن من عدّة أجزاء ،لكون الجزء لايعني شيئا إلّا بانتظامه مع الكلّ الذي

[1] ـ ينظر،الطيب العزالي قواوة، الانسجام النصّي وأدواته، ص:64
[2] ـ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:126
[3] ـ سورة يونس، آية: 24

يصنعه التّمثيل، وهذا يعني أنّ الخطاب في هذه الحالة عبارة عن سلسلة من العناصر المترابطة، من أجل بناء الخطاب أوّلا وضمان تماسكه وانسجامه ثانيا"[1]

إنّ الدّور البارز الذي يلعبه التّشبيه في نسج الخطاب قد جعل الجرجانيّ ينتبه إلى أمر مهمّ جدّا بالنّسبة لانسجام الخطاب وهو ترتيب الخطاب المبني على التّشبيه. حيث يرى أنّ ترتيب الخطاب المعتمد على التّشبيه هو ترتيب حرّ ويسوق له المثال التّالي: زيد كالأسد بأسا، والبحر جودا، والسّيف مضاء، والبدر بهاء. فلا يجب على منتج الخطاب ولا متلقّيه أن يحفظ من هذه التّشبيهات نظاما مخصوصا، لكون كلّ تشبيه من هذه التّشبيهات مستقلّا بذاته، غير متوقّف على الآخر.[2]

مثال شعري:

النّشر منك والوجوه دنانير وأطراف الأكفّ عنم

يعلّق الجرجاني من "أنّه يجب حفظ هذا التّرتيب فيها لأجل الشّعر، فأمّا أن تكون هذه الجمل متداخلة كتداخل الجمل في الآية وواجب فيها أن يكون لها نسق مخصوص كالنّسق في الأشياء إذا رتّبت ترتيبا مخصوصا كان لمجموعها صورة خاصّة فلا"[3]

وهكذا يمكننا أن نستخلص من أنّ ترتيب الخطاب المبنيّ على التّمثيل هو ترتيب مقيّد لأنّ دلالته متحصله منه مجموعا ومرتّبا على ذلك النّسق المخصوص.[4]

نعود الآن إلى الآية الكريمة التّي اتّخذها الجرجانيّ مثالا :

---

[1] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط 1، 1991م، ص:86

[2] ـ ينظر، المصدر السابق، ص:87

[3] ـ المصدر نفسه، ص:88

[4] ـ ينظر، محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص:125

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

فهذه الآية الكريمة مشكّلة من ثلاث جمل متداخلة ومتعلّق بعضها ببعض حتّى إنّه يستحيل حذف إحداها دون الإخلال بتمام المعنى، لأنّها تشير إلى ثلاث مراحل :

1) نزول الماء من السّماء وما نتج عنه من اختلاط نبات الأرض.
2) اتّخاذ الزّينة النّاتج عن المرحلة الأولى وما أعقب ذلك من إعجاب النّاس بها واعتقاد دوامها على ذلك.
3) الإتيان عليها وجعلها في خبر كان.

وبدون هذه المراحل الثّلاث لن يستقيم التّمثيل . كما أنّ طريقة تركيب الخطاب يجعل كلّ مرحلة متعلقّة بالأخرى:"**فاختلط**"،"**حتّى إذا**"، "**وظن أهلها...**" حيث تقتضي الجمل المفتتحة بهذه الحروف ما يتمّم المعنى، فلا نستطيع إنهاء الخطاب مثلا عند "**وازيّنت**" فالجواب وارد فيما هو لاحق "**أتاها أمرنا...فجعلناها...**" فالخطاب يتركّب من بداية ووسط ونهاية وهي المراحل التّي يمرّ بها الإنسان في حياته.[2]

وبعد إبراز أهميّة التّشبيه في الانسجام الدّلاليّ للخطاب، نختم هذه الآليّة بقول الجرجانيّ :"وليس إذا كان الكلام في غاية البيان، وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح أغنى كذلك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفا"[3]

---

[1] ـ سورة يونس، آية: 24
[2] ـ ينظر، عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص:87
[3] ـ المصدر السابق، ص:88

ج . المجــاز:

"هو كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة واضعها بين الثّاني والأوّل وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذّي وضعت له في وضع واضعها"[1]

ويعرّفه الجرجانيّ على أنّه :"إذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنّه(مجاز) بمعنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذّي وضع فيه أوّلا".[2]

وعُرّف المجاز بأنّه :" كلّ لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز"[3] ولا بدّ حين يوصف الكلام مجازا أن لا يخرج هذا الكلام عن ملاحظة معناها لأصلي.

وينقسم المجاز إلى قسمين:

1 . مجاز لغويّ :

ويكون بنقل الكلمة من معناها إلى معنى آخر مرادفا لمعناها الأصلي.[4]يقول عبد القاهر: " واعلم أنّ طريق المجاز...أنّك ذكرت الكلمة، وأنت لا تريد معناها ، ولكن تريد معنى ما هو ردف لها، أو شبيه، فتجوّزت بذلك في ذات الكلمة، وفي اللفظ نفسه"[5]

وينقسم المجاز اللّغويّ على قسمين:

---

[1] ـ عبد العاطي غريب علّام، دراسات في البلاغة العربيّة، ص:89

[2] ـ عبد القاهر الجرجانيّ ،اسرار االبلاغة، ص:395

[3] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز ، ص66

[4] ـ ينظر، توفيق الفيل، بلاغة التّراكيب (دراسة في علم المعاني)، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، د ت، ص:28

[5] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص:396-397

أ. المجاز المرسل:

وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملابسة، أي غير التّشبيه، وهذا يعني أنّ الكلمة مستعملة قصدا فيغير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة بين المعنيين، مع قرينة دالّة على عدم إيراد المعنى الأصلي. ومن المجاز المرسل قوله تعالى: ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**[1]﴾ أي نجعلها كخفّا البعير فلا يتمكّن من القيام بالأعمال اللّطيفة.

ب . الاستعارة:

وهي "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[2]، وقد عرّفها الجاحظ بقوله:"هي تسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه"[3]

والاستعارة عند الجرجانيّ :" أن تريد تشبيه الشّيء بالشّيء، فتدع أن تفصح بالتّشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه"[4]ومثالها ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم**[5]﴾، بمعنى :الدّين الحقّ.

2 . مجاز عقليّ:

"هو أن يكون التّجوز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه"[6]، وهو مجاز يعتمد على(الإسناد)و يكون على مستوى الجمل.

---

[1] ـ سورة القيامة، آية:04
[2] ـ الامام القزوينيّ، الايضاح في علوم البلاغة، ص:274
[3] ـ الجاحظ، البيان والتّبيين،ج1،ص: 124
[4] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص:294
[5] ـ سورة الفاتحة ـ آية:5
[6] ـ عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص:383

ومن المجاز العقليّ ما جاء في قوله تعالى :﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[1]، فالتّجوّز جاء في إسناد الرّبح إلى التّجارة.

وقد أشار الجرجانيّ إلى الدّور الذي يلعبه المجاز في انسجاميّة الخطاب الدّلاليّة فقال بأنّه "يفخم عليه المعنى، وتحدث فيه النّباهة"[2] ويتّضح الفرق حين ننظر في مثل قول الشّاعر:

فنام لَيْلي وتجلّى هَمِّي.

وما فيه من حسن. على قولنا فنمت في ليلي، وتجلّى همّي. وينتهي عبد القاهر إلى القول :"بأن هذا الضّرب من المجاز كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشّاعر المفلّق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتّساع في طريق البيان"[3]

د . الكناية:

على اعتبار أنّ للكناية دورا بارزا في أداء المعنى، فهي تؤدّيه أداء مهذّبا، وهي تعدّ أحد أدوات الانسجام النصّي الدّلاليّة.

وهي عند أبي عبيدة كلّ ما فهم من الكلام ومن السّياق من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة[4]، كقوله تعالى:﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[5]

---

[1] ـ سورة البقرة، آية: 16

[2] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:294

[3] - الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:393

[4] ـ أبو عبيدة معمر بن مثنّى ، مجاز القرآن، ج1 ، ص:28 ،،

[5] ـ سورة البقرة، آية:223 -

وقد عرّفها عبد القاهر الجرجانيّ بقوله :"أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه"[1]

فأسلوب الكناية يقوم على نقل الكلمة من معناها الشّائع الذّي استقرّت عليه إلى معنى آخر من خلال علاقات خاصّة، تربط بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه، وللكناية تسميات عديدة منها: الإرداف والوحي والإيماء والإشارة والرّمز..

أمّا السكّاكي(626هـ) فقد توسّع في مفهوم الكناية فقال :"هي ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك"[2]

وبالتّالي فالكناية تتيح للمتكلّم تطوير معانيه، كما تنأى به عن التّصريح بالمعاني المستهجنة وبالتّالي فهي من أساليب التّأدّب في الخطاب، كما تتيح الكناية للمتكلّم الإيجاز والقصد في معانيه، وهي بالتّالي تسهم في انسجام الخطاب دلاليّا.

[1] ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:66
[2] ـ السكاكي ، مفتاح العلوم، ص:402

الفصل الثّاني :

مبادئ الانسجام في إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلانيّ

مباحث الفصل الثاني:

1.القاضي أبو بكر الباقلّاني:

أ. أصله ونسبه.

ب. تكوينه العلمي والثّقافي.

ج. أهمّ مؤلّفاته.

2.كتاب إعجاز القرآن:

أ. شكله ومضمونه.

ب. منهجه: 1.المنهج العام.

2.المنهج الخاصّ.

3.مبادئ الانسجام المبثوثة فيه:

أ. المبادئ الصّوتيّة

ب. المبادئ التّركيبيّة

ج. المبادئ الدّلاليّة

1. القاضي أبو بكر الباقلانيّ:

أ . أصله ونسبه:

هو القاضي أبو بكر محمّد بن الطيّب بن محمّد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلّانيّ البصريّ المتكلّم المشهور، نشأ بالبصرة وتربّى فيها ولمّا بلغ سنّ شبابه هاجر إلى بغداد أين سمع الحديث وكان ثقة.

كان على مذهب الشّيخ أبي الحسن الأشعريّ، ومؤيّدا اعتقاده[1]، وناصرا طريقته. وكان أعلم النّاس بالكلام وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا، وأصحّهم عبارة.[2]صنّف التّصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره وكان في علمه أوحد زمانه، وانتهت إليه الرّياسة في مذهبه، كان موصوفا بحبّ الاستنباط، وسرعة الجواب، وسمع الحديث : وكان كثير التّطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة، وجرى يوما بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، وأكثر القاضي أبو بكر فيها الكلام،ووسّع العبارة وزاد في الإسهاب، ثمّ التفت إلى الحاضرين وقال: اشهدوا عليّ أنّه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب، فقال الهارونيّ :اشهدوا عليّ أنّه إن أعاد الكلام نفسه سلّمت له ما قال.[3]

وقد قال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد :" كان أعرف النّاس بعلم الكلام، وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا، وأوضحهم بيانا، وأصحّهم عبارة، وله من التّصانيف الكثيرة المنتشرة في الردّ على المخالفين من الرّافضة والمعتزلة والجهميّة والخوارج وغيرهم"[4]

---

[1]ـ ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ،بيروت ،د ط، 2013م،ص:10

[2] ـ ينظر، المصدر السابق، ص:11

[3] ـ ينظر، نفسه، ص:11

[4]ـ نفسه، ص:11

وأمّا الذّهبي فقد قال فيه :" يُضرب المثل بفهمه وذكائه"[1] ووصفه ابن خلكان :"بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث ، وكان كثير التّطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة"[2]

توفّي القاضي أبو بكر الباقلّانيّ يوم السّبت ودفن الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة 403هـ ببغداد، رحمه الله تعالى.

ب . تكوينه العلمي والثّقافي:

من خلال استقراء المصادر التّي عرضت لسيرة الباقلّاني العلميّة وجهوده، يتبيّن لنا أنّ ثقافة الباقلاني ارتكزت على منبعين رئيسيّان هما الفقه وأصوله وعلم الكلام وسنتبيّن ذلك فيما يأتي :

فأمّا الفقه وأصوله فقد ذهب معظم من أرّخ للباقلّاني بأنّه كان مالكيّا في الفقه، وقال القاضي عياض بأنّ أبا الحسن بن جهضم الهمذاني ذكر في كتابه الباقلاني فقال عنه:"كان شيخ المالكين في وقته، وعالم عصره، المرجوع إليه فيما أشكل على غيره"[3] وقد" انتهت إليه رئاسة المالكيين في وقته، وكان حسن الفقه، عظيم الجدل، وكانت له ببغداد حلقة عظيمة"[4] وقال عنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري: "وكان مالكيّا فاضلا متورّعا"[5]

وقد كانت ثقافته الكلاميّة نتاجا لتلمذته على أعيان المذهب المالكي أهمّهم أبي الحسن الباهلي البصريّ وكان من أخصّ النّاس بأبي الحسن الأشعري ،كما وكان من أساتذة الباقلاني ابن مجاهد الطّائي الذّي أخذ عنه علم الكلام والفقه المالكي وأصوله،

---

[1] ـ المصدر السابق ، ص:12
[2] ـ نفسه ، ص:11
[3] ـ نفسه، ص:12
[4] ـ نفسه، ص:13-14
[5] ـ نفسه، ص:14

فمن الجليّ ممّا سيق قبلا بأنّه كان إماما في الفقه المالكيّ ويعزّز ذلك أنّ معظم شيوخه الذّين تتلمذ عليهم في الفقه هم فقهاء مالكيّون، من بينهم :أبو بكر الأبهريّ شيخ المالكيّة في عصره، كما أخذ الفقه عن أبي محمّد عبد الله بن أبي زيد القيروانيّ وهو إمام المالكيّة في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله.

وأمّا علم الكلام فيعدّ الباقلّاني كما ذكرنا واحدا من أهمّ أعلام المذهب الأشعريّ، فمن الطّبيعي أن لا يبوء بهذه المكانة إلّا بعد تشرّب وغرف من هذا العلم لما يستدعيه الدّفاع عن المذهب من قوّة في المناظرة والحجاج وردّ على الخصوم. وقد كانت ثقافته الكلاميّة نتاجا لتتلمذه على أعيان المذهب المالكي أهمّهم أبي الحسن الباهلي البصريّ وكان من أخصّ النّاس بأبي الحسن الأشعري، كما وكان ابن مجاهد الطّائي أحد أساتذته الذّي أخذ عنه علم الكلام والفقه المالكي وأصوله، ولما تبوّء به الباقلانيّ من قوّة وبعد شأو الحجاج، يقول عنه صاحب مرآة الجنان:" من سمع مناظرة القاضي أبو بكر لم يستلذّ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلّمين والفقهاء والخطباء والمترسّلين"[1]

لهذا كان الباقلّاني مقصدا للطّلاب، فقد درس عليه نفر كثير علم الكلام، منهم أبو عبد الرّحمن السّلمي محمد بن الحسين بن موسى النّيسابوري، شيخ الصّوفيّة ومؤرّخها، وكذلك أبو الحسن عليّ بن عيسى السّكريّ الفارسي، أمّا من تلامذته الذّين أخذوا عنه الفقه المالكي نورد منهم أبي ذرّ الهرويّ، وأبي طاهر البغدادي الواعظ ، وأبي عمران الفاسي.[2]

[1] ـ الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص: 15
[2]ـ ينظر، المصدر السابق ، ص:23

وبعد العرض الموجز الذّي أوردناه لشيوخ الباقلاني وتلامذته لا تفوتنا ملاحظة إنّهم يصنّفون جميعا ضمن أعلام الفقه والأصول، والعقيدة وعلم الكلام، وليس فيهم من اشتهر بدراسة النّقد والبلاغة أو فنّ الكلمة إلّا نفر قليل.[1]

وكان من الطّبيعي أن تشهد حياة الباقلاني مناظرات علميّة مع أصحاب المخالفة أو الأديان الأخرى، وهو ما تشهد به كتب الفرق والتّاريخ من مناظراته المشهورة، يُستشفّ منها ملكة بيانيّة واسعة، وسرعة في البديهة.

ج . أهمّ مؤلّفاته :

وأمّا جهد الباقلّاني التأليفي والذّي وصل إلينا مطبوعا[2]:

1. كتاب «التّمهيد في الردّ على الملحدة المعطّلة والرّافضة والخوارج والمعتزلة»صدر عن لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر بالقاهرة عام 1366هـ/1947م، بتحقيق الأستاذين: محمود محمّد الخضيري ، ومحمّد عبد الهادي ريدة.

2. كتاب :«الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» بتحقيق الشّيخ :محمّد بن زاهد الكوثري1296هـ/1371هـ.

3 . كتاب « البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسّحر»،بتحقيق ريتشارد مكارثي 1957م.

4 . كتاب «الانتصار للقرآن»، حقّقه الدّكتور محمّد عصام القضاة1422هـ/2001م.

بالإضافة إلى الكثير من الكتب أشار إليها القاضي عياض في ترجمته للباقلّاني ما يربو عن خمسين كتابا معظمها في علم الكلام.

[1] - ينظر، المصدر السابق ، ص: 24
[2]- ينظر، نفسه ، ص:26

نذكر منهم :

5 . كتاب «الإبانة عن إبطال مذهب الكفر والضّلالة».

6 . كتاب «شرح اللّمع».

7 ـ كتاب «تصرّف العباد والفرق بين الخلق والاكتساب».

8 ـ كتاب «كشف الأسرار في الردّ على الباطنيّة».

2ـ كتاب إعجاز القرآن:

أ ـ شكله ومضمونه:

إعجاز القرآن للباقلّاني بحث أدبيّ في أوجه إعجاز القرآن الكريم، ألّفه الباقلّاني بعد أن رأى التّقصير الجليّ من الباحثين، الذّين عكفوا على المباحث اللّغويّة في القرآن الكريم متناسين أو معرضين عن ما هوّ أهمّ ألا وهو الإعجاز القرآني وذلك لردّ كيد الخائضين والطّاعنين والملحدين في أصوله وكذا دحض شكوك ضعاف الدّين وهديهم إلى اليقين.

وقد عجب الباقلّاني ممّن جعل يحلّل معاني القرآن بإسقاطها على ما يلائمها من الأشعار العربيّة، أو يوازن بينه وبين غيره من الكلام. حيث حاول في مؤلّفه إعجاز القرآن تبيان التّفاوت الجليّ بين النصّ القرآنيّ الربّانيّ الكامل المعجز بكماله وانسجامه وبين ما شاب أشعار الشعراء وخطب الفقهاء من خلل وزلل وعيّ وبساطة تركيب إذا قورنت بالخطاب الإلهيّ.

ويشير الباقلّانيّ إلى أنّ الجاحظ قد صنّف كتابا «نظم القرآن» ورغم ما يوحي به عنوانه من شموليّة بحثه، إلّا أنّه "لم يزد فيه على ما قاله المتكلّمون قبله ولم يكشف

عمّا يلتبس في أكثر هذا المعنى"[1]، ليصرّح الباقلّاني بأنّه سيضيف إلى من سبقوه ما يجب وصفه من طرق البلاغة وسبل البراعة، أي براعة النّظم والتّركيب وهو ما يدخل في بحث الانسجام. وهو ما عكف عليه الباقلاني في مؤلفه أين حاول وصف كمال التحام الخطاب الربانيّ من جميع مستوياته، مع تبيان ما طرأ على الخطاب البشريّ من عيّ ونقص رغم وسمه بالخطاب البليغ.

ب . منهجـــــه:

1. المنهج العام:

قام الباقلاني بترتيب مؤلّفه فصولا:

فجعل أوّل فصل منه لبيان أنّ القرآن معجزة النبيّ الكريم عليه الصّلاة والسّلام، وهي معجزة تقوم على بلاغة تراكيبه، وبراعة دلالاته التّي أعجزت سائر البشر، ويستشهد لذلك بآي الذّكر الحكيم.[2]

ثمّ يفتح فصلا ثانيا يتمّم به الفصل الأوّل وما ساق فيه من براهين تثبت إعجاز القرآن الكريم، وفي ثنايا ذلك يردّ ردّا عنيفا على من علّل إعجاز القرآن الكريم بالصِّرفة أي بصرف العرب عن معارضته، لأنّ ذلك يقتضي أنّ المعارضة ممكنة، وإنّما منعوا منها للصّرفة، وبذلك يسقط أن يكون القرآن معجزا في نفسه وببلاغته. والواضح من كلامه أنّه يردّ على المعتزلة والرّماني، الذّي عدّ الصّرفة من وجوه الإعجاز القرآني، ويقول من أنه ليس هناك كتاب سماوي معجز سوى القرآن. ويحمل ردّا قويّا على ما يزعمه المجوس من أنّ **زرادشت** و**ماني** معجزان فيخبر من أنّهما زاخران بالشّعوذة، يشكّك فيما يقال من أنّ ابن المقفّع عارض القرآن بكتابه«**الدرّة**

---

[1]- الباقلّاني، إعجاز القرآن، ص:53

[2] ينظر، شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، الاسكندريّة، ط9، د ت، ص:108

اليتيمة» ويقول أنّ ما به من حكمة يوجد عند كلّ أمّة، على أنّه نقل حكمة عن كتاب"**بزر جمهر**" حكيم الفرس المشهور فليس له فيها فضل ولا مزيّة.[1]

ثمّ يفتح فصلا لبيان وجوه الإعجاز القرآني فيما يراه وأصحابه من المذهب الأشعريّ ويردّها إلى ثلاثة أوجه:

. **أوّلها:** إعجاز فيما تضمّنه من إخبار عن الغيبيّات : وما فيه من القصص الدّيني وسير الأنبياء ممّا روته الكتب السّماويّة مع أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم كان أميّا لا يقرأ ولا يكتب.

. **ثانيها:** أنّ القرآن الكريم عُلِّم من النبيّ الكريم الأميّ ومما يزيد الحجّة عندنا أنّ النبيّ الكريم كان يكنّى بالصّادق الأمين من أهل قريش.

. **ثالثها:** الإعجاز في النّظم والتّأليف، وهنا يدرج الباقلّاني نظريّته في إعجاز القرآن الكريم البلاغيّة .

وهو ما يعنينا من كتاب الباقلّاني وسنحاول كشف مبادئ الانسجام عنده من خلال النصّ القرآني، الذّي نعلم يقينا بانسجاميّته، إلّا أنّنا سنحاول تبيان رؤية الباقلّاني حول الانسجام النصّي .

ويتبع هذا الفصل بفصل آخر في شرح وجوه الإعجاز عنده.

ثمّ يجعل فصلا آخر في نفي الشّعر من القرآن الكريم، مقرّرا أنّ الذّكر الحكيم لا تتفاوت آيه ولا تتباين، بخلاف كلام الفصحاء، فإنّه يتفاوت ويتخالف من موضوع لآخر.

1 - ينظر ، الباقلّانيّ ، المصدر السّابق، ص:54

ويتبعه بفصل آخر في نفي السّجع من القرآن الكريم، ردّد فيه آراء الرمّاني من أنّ فواصل القرآن العظيم تخالف السّجع وتتباين معه مباينة تامّة، فالفواصل تتبع المعنى وأمّا السّجع فالمعنى تابع له، من أجل ذلك يتّضح فيه التّكلّف والثّقل.[1]

ويعقد عقب ذلك فصلا يتحدّث فيه عن أوجه البديع، ليرى إن كان بالإمكان تعليل الإعجاز القرآني بها أم لايمكن ،وقد عقد في هذا الفصل ثلاثون محسّنا بديعيّا وينفرد بكلّ محسّن بديعيّ فيعرّفه ويسوق له أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشّريف ومن الشّعر العربيّ،وهذه المحسّنات هي على التّرتيب :

الاستعارة . التّشبيه . الغلوّ. المماثلة. المطابقة . التّجنيس . المقابلة. الموازنة. المساواة. الإشارة. المبالغة والغلوّ. الإيغال . التّوشيح . ردّ العجز على الصّدر. صحّة التّقسيم . صحّة التّفسير. التّتميم والتّكميل . التّرصيع . التّرصيع مع التّجنيس . المضارعة. التّكافؤ. باب التعطف . السّلب والإيجاب . الكناية والتّعريض . العكس والتّبديل . الالتفات . التّذييل . الاستطراد . التّكرار. الاستثناء.

ويعقّب الباقلّاني على ما ذكره من ضروب البديع بقوله: "ووجوه البديع كثيرة جدّا، فاقتصرنا على ذكر بعضها ونبّهنا بذلك على ما لم نذكر كراهة التّطويل، فليس الغرض ذكر جميع أنواع البديع، وقد قدّر مقدّرون انّه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التّي نقلناها وأنّ ذلك ممّا يمكن الاستدلال به عليه، وليس كذلك عندنا، لأنّ هذه الوجوه إذا وقع التّنبيه عليها أمكن التّوصّل إليها بالتّدريب والتّعوّد والتّصنّع لها"[2]

ثمّ يمضي ليجيب عن التّساؤل الذّي كان طرحه في بداية هذا الفصل فيقول من أنّه :"لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذّي ادّعوه في الشّعر ووصفوه

[1] ـ ينظر، شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص:109
[2] ـ الباقلّاني، إعجاز القرآن، ص:163

فيه، وذلك أنّ هذا الفنّ ليس فيه ما يخرق العادة ويخرق العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتّدرّب به والتّصنّع له...أمّا شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصحّ وقوع مثله اتّفاقا"[1]

ثمّ يتبع هذا الفصل بآخر يبيّن فيه كيفيّة الوقوف على إعجاز القرآن الكريم، فيقول "أنّه لا يقف عليه إلّا من عرف معرفة بيّنة وجوه البلاغة العربيّة وتكوّنت له فيها ملكة يقيس بها الجودة والرّداءة في الكلام بحيث يميّز بين نمط شاعر وشاعر ونمط كاتب وكاتب، وبحيث يعرف مراتب الكلام في الفصاحة، وكأنّه يردّ المسألة إلى الذّوق وحسن تدرّبه على تمييز أصناف الكلام"[2]

ويسوق مجموعة من خطب النبيّ الأكرم صلوات الله عليه والسلام ورسائله ومن خطب صحابته الكرام وغيرهم، ليتبيّن القارئ الفرق بين ذلك كلّه وبين القرآن الكريم.

ثمّ يدرس معلّقة **إمرئ القيس** إمام الشّعراء ويبيّن ما فيها من عوار ومن تكلّف ومن حشو وخلل وتطويل ولفظ غريب، وكيف تتفاوت أبياتها بين الجودة والرّداءة والسّلاسة والغرابة.

ثمّ يتحدّث عن نظم القرآن البديع وكيف أنّه وُزّع على كلّ آيه باعتدال وانسجام وسنقف على هذا في مبحثنا الموالي، فيم يتفاوت كلام البلغاء من الشّعراء حتّى في القصيدة الواحدة.

ليتناول فيما بعد لامية البحتري الذّي عرف بجمال ديباجته وحلاوة أنغامه وعذوبة ألفاظه، والتّي مطلعها :

أهلا بذلكم الخيال المقبـــل فعل الذّي نهواه او لم يفعـــل.

[1] ـ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص:167
[2] ـ المصدر السابق، ص:166

ليبيّن بعد تشريح أبياتها ما يجري فيها من ثقل وتطويل وحشو وتكلّف وألفاظ وحشيّة جافية، ومن تناقض ورداءة صوغ وسبك. ويهاجم ما يقال من بلاغة الجاحظ مبيّنا أنّ نطاق قوله ضيق إذ يستعين بأقوال غيره وقد يفزع متتبّع أقواله على ما يفزع به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة منقولة وقصّة مأثورة، كلّ ذلك ليدلّ على أنّ بلاغة القرآن لا تسمو إليها أيّ بلاغة شاعر أو كاتب.

ويمضي في فصل مفرد لم يعنونه، يقول فيه من أنّ القرآن الكريم ليس معجزا لأهل العصر الأوّل الذّي نزل فيهم وإنّما تحدّيه الإعجازي يشمل جميع العصور.

ويعقد فصلا بعنوان "وصف وجوه البلاغة" وفيه يلخّص الوجوه العشرة للبلاغة التّي صوّرها الرمّاني في رسالته «النّكت في إعجاز القرآن الكريم»، ومضى يفصّل في وجوهها التّي بها يعلّل الإعجاز، وكأنّ الباقلاني رأى في هذه الوجوه ما رآه في وجوه البديع التّي رفض أن تكون من البراهين على إعجاز القرآن الكريم، إذ هي داخلة في نطاق الطّاقة البشريّة.[1]

واسترسل يتحدّث عن إعجاز القرآن بخروجه عن عادة البلغاء وارتفاعه عن مستوى بلاغتهم، وقارن بينه وبين كلام الرّسول الكريم، وقال إنّ بينهما في البلاغة بونا شاسعا هو نفس البون بين بلاغة الذّكر الحكيم وكلام النّاس.[2]

وبهذا تتّضح لنا معالم كتاب «إعجاز القرآن» للباقلّاني وقد تبيّن لنا من الفصول ما يعنينا أو ما نحن بصدد البحث فيه.

[1] ـ انظر، شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص:109
[2] ـ ينظر، الباقلّاني، إعجاز القرآن، ص:287

2. المنهج الخاص:

يقوم مؤلّف (إعجاز القرآن) للباقلّاني على المنهج التّحليلي المقارن، حيث قام بتوجيهه لفئة قرائيّة (متوسّطة) الفصاحة كما اصطلح عليها، وذلك بعد أن حدّد مستويات القرّاء أو المتلقّين حيال الإعجاز إلى ثلاث قرّاء:

أ. الأعجمي: وهو الذّي لا يعرف العربيّة، والذّي يرى الباقلاّني أنّ هذا الصّنف من النّاس لا يستطيع الوقوف على أوجه إعجاز القرآن الكريم، وليس عليه إلّا التّسليم بإعجاز القرآن وتقليد الفصحاء من أهل اللّسان العربي، الذّين عرفوا إعجاز القرآن الكريم وسلّموا به.[1]

ب. العربي الذّي لا دراية له بعلم الفصاحة: وحكم هذا الصّنف عند الباقلاني حكم سابقه، وذلك لخلوّ وفاضه من علم الفصاحة والبلاغة، فلا يمكنه الوقوف على الوجه المعجز من القرآن الكريم، وبالتالي عليه التّقليد والتّسليم أنّ القرآن معجز[2].

ج. المتوسّط في علم العربيّة: وهو من كان في " صنعة الأدب متوسّطا، وفي علم العربيّة متبيّنا"[3]، إلّا أنّه لم يبلغ التّناهي في علمي الفصاحة والبلاغة، فهذا المستوى بإمكان إدراك إعجاز القرآن الكريم، ولكن من بعد لوازم يلزمه بها شيخنا الباقلاني.

د. المتناهي في معرفة اللسان العربي: " وهو البليغ الذّي قد أحاط بمذاهب العربيّة وغرائب الصّنعة"[4]فهو المتناهي في الفصاحة، والعالم بأساليب، وفي "معرفة وجوه

[1] ـ ينظر،االباقلاني، إعجاز القرآن، ص:113
[2] ـ ينظر، المصدر السابق ،ص:113
[3] ـ نفسه، ص:127
[4] ـ نفسه، ص:209

الخطاب وطرق البلاغة والفنون"[1]، فليس يخفى على هذا الصّنف العلم بإعجاز القرآن الكريم، [2] بمجرّد سماعه.

وكما أشرنا فقد كتب الباقلّاني كتابه إلى الفئة المتوسّطة من القرّاء، ويرى أنّ من أهمّ الأدوات التّي تفتح باب العلم بالإعجاز القرآنيّ هي الانغماس في قراءة البيان العالي من قرآن أو سنّة أو نثرا أو شعرا أو خطبة...فهو الذّي يرقى بالمتوسّط إلى مرتبة أعلى من الوعي في تلقّي البيان والفصل بين طبقاته ودرجاته.

كما قام الباقلّاني بالتّفريق بين النّظم القرآني وكلام النبيّ الكريم محمّد ليبيّن الفرق بين الكلامين، ليدرك بذلك المتوسّط الغرض ويتبيّن الفرق.

ويوصي الباقلاني القارئ المتوسّط إلى تأمّل القرآن الكريم، ثمّ يتأمّل نماذج من البيان البشريّ ليقف على إعجاز القرآن الكريم، ويدرك البون بين البيانين، ونجد الباقلّاني يؤكّد على قارئه وظيفة (التأمّل) والتّي تعدّ أحد الرّكائز التّي يقوم عليها منهج الباقلانيّ.

ويرى الباقلاني أنّ طريقة التّأمّل قادرة على أن تقف بالمتوسّط في الصّنعة على أوجه إعجاز القرآن الكريم، ونجده يرفض أن تكون فنون البلاغة سبيلا إلى معرفة الإعجاز القرآنيّ، رغم إقراره بوجود الفنون البلاغيّة في القرآن الكريم وكذا في بيان البشر، إلّا أنّ وجودها في القرآن الكريم على حدّ "يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة "[3] .

ويقوم منهج الباقلانيّ في مؤلّفه على (الاستواء والتّفاوت)، حيث يقوم بالمباينة بين بلاغة البيان البشريّ وبين البيان القرآنيّ، ويحاول أن يؤكّد في سائر فصول

[1] ـ الباقلاني، المصدر السابق ، ص:209

[2] ـ ينظر،عبدالله أحمد بانقيب، (مناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجازمن الرمّانيّ إلى عبدالقاهر الجرجانيّ) رسالة دكتوراه، غير منشورة،2009/2007 ،ص: 201

[3] ـ الباقلاني، نفسه ، ص:210

مؤلّفه على استواء البيان القرآنيّ وتكامله في مقابل تفاوت البيان البشريّ وتذبذبه بين القوّة والضّعف، والإجادة في مواطن والضّعف في أخرى، واعتدال البيان القرآنيّ عامّ وشامل بين جميع أجزائه وعناصره وفي كلّ مواطنه.[1]

وقد كان الشّعر العربيّ نموذجا لتفاوت البيان الإنسانيّ، بالإضافة إلى البيان النّبويّ، ومن هنا كان مرتكز منهج الباقلّانيّ التّحليليّ قائما على فكرة المقارنة بين التّفاوت الإنسانيّ الكامن في الشّعر العربيّ وبين استواء البيان القرآنيّ المعجز.

وكان الباقلّاني في سائر مؤلّفه دائم التّركيز في الكشف عن مواطن اعتلال البيان البشريّ، فمثّل أوّلا بالبيان النّبويّ، وبيّن ما فيه من اعتلال وتفاوت بالمقارنة مع البيان القرآنيّ.

كما رأى الباقلّاني أنّ معلّقة إمرئ القيس التّي تعدّ نموذجا متميّزا للشّعر العربيّ، لم تخل أيضا من تفاوت البيان الآدميّ. ويورد الباقلاني أمثلة لتّفاوت البيانيّ البشريّ، كالإخفاق في اختيار الألفاظ الملائمة للمعاني أو عدم التّمكّن من الانتقال السّلس من غرض إلى آخر دون أن يحدث تذبذب لدى المتلقّي، وكذلك الضّعف في العدول الأسلوبي في توظيف الألفاظ مثلا بالمقارنة مع قوّته في القرآن الكريم. ويحاول الباقلاني تأكيد انسجام وتلاحم السّبك القرآنيّ من خلال المظاهر المذكورة سابقا ومظاهر أخرى تأتي في الفصل الموالي.

3.مبادئ الانسجام المبثوثة فيه:

لقد كان حديث الباقلّاني عن الانسجام أو التّلاؤم في إطار حديثه عن النّظم وما يتعلّق به من موائمة ألفاظه لمعانيه، فنجد الباقلاّني في تحليل بلاغة النص

[1] ـ ينظر عبد الله أحمد بانقيب، (مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز)، ص:213

القرآني أو الشّعري مركّزا على ثنائيّة اللّفظ والمعنى، فيرى أنّ شرط تحققّ البراعة إنّما هو انسجام ركني الخطاب(اللّفظ . المعنى) فيقول :" فإذا الكلام إنّما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النّفوس التّي لا يمكن التّوصّل إليها بأنفسنا وهي محتاجة إلى ما يعبّر عنها، فما كان أقرب إلى تصويرها وأظهر في كشفها للمعنى الغائب عنها ،وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، وأشدّ تحقيقا في الإيضاح عن المطلب وأعجب في وضعه، وأرشق في تصرّفه، وأبرع في نظمه، كان أولى وأحقّ بأن يكون شريفا"[1] فإذا "وجدت الألفاظ وفق المعنى، والمعنى وفقها، لا يفضّل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر والمعنى أتمّ"[2] وهذا ممّا يؤكّد وعي الباقلّاني بفكرة الانسجام.

إلّا أنّ مصطلح الانسجام لم يكن واضحا عند الباقلاني كأقرانه من البلغاء ممّن سبق ذكرهم في الفصل السّابق إلّا انّه ركّز على عبارات متعلّقة بالانسجام منها النّظم والتّآلف والتّلاؤم، وتجري في نسق واحد...

ويظهر مفهوم الانسجام قريبا عند الباقلّاني أثناء تحديده مفهوم التّلاؤم، فيقول :" والتّلاؤم : حسن الكلام في السّمع وسهولته في اللّفظ، ووقع المعنى في القلب، وذلك كالخطّ الحسن، والبيان الشّافي ، والمتنافر كالخطّ القبيح، فإذا انضاف إلى الكلام حسن البيان، وصحّة البرهان، في أعلى الطّبقات، ظهر الإعجاز لمن كان جيّد الطّبع، وبصيرا بجودة الكلام."[3]

وممّا يوضّح اقتران هذا المفهوم بمعنى الانسجام استيفائه جميع مستويات الانسجام، فأمّا التّركيبي فيظهر في قوله (حسن الكلام في السّمع) بمعنى أنّ الكلام يجري في نسق مطّرد ثابت عذب لا اعتلال في تركيبه ووزنه.

---

[1] ـ الباقلاني،إعجاز القرآن ، ص:265

[2] ـ المصدر نفسه، ص266

[3] ـ المصدر نفسه،ص:298ـ

و قوله (سهولته في اللّفظ) يدخل ضمن المستوى الصّوتي، فالباقلّاني يقصد هنا الطريقة السّلسة لتوزّع الحروف على مخارج النّطق بها وبالتّالي التّوازن ، فتقارب المخارج يصعّب عمليّة النّطق بالحروف كما رأينا سابقا.

وأمّا قوله (وقع المعنى في القلب)فهنا يلج الباقلاّني البعد الدّلالي للانسجام فهو يشترط لتحقّق الانسجام بالإضافة لما سبق جودة المعنى وحسنه وصدقه وذلك من خلال قوله "وصحّة البرهان"

فجعل الباقلّاني الكلام المنسجم كالخطّ الحسن الذّي تشتهي مواصلة تأمّله لحسنه، وكالبيان الشّافي الذّي استوفى موضوعه.

من خلال هذا التّحليل نلمس في مفهوم الباقلّاني للانسجام وعيا دقيقا بمستويات الخطاب (الصّوتي والتّركيبي والدّلالي)، وتتواصل عناية الباقلّاني لمستويات الخطاب في كتابه.

ا.الانسجام الصّوتي:

من خلال تصفّح كتاب الباقلّاني حول الاعجاز القرآني لمسنا لديه وعيا بالانسجام الصّوتي وذلك من خلال جملة من المقولات التّي سنصنّفها ضمن هذا المستوى.

فمن بين الإشارات التي تبيّن دراية الباقلّاني بالبعد الصّوتي:

1.التّناغم:

وهو تناسب المظاهر الصوتيّة الإيقاعيّة في الحركات والسّكنات، وأنواع الحروف وأوصافها وفي كلّ ما يدخل في تشكيل البنية الصّوتيّة.

و يرى الباقلّاني أن الأسلوب القرآني جاء مغايرا لكلام العرب المنظوم، والذّي ينقسم إلى :"أعاريض الشّعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفّى، ثمّ إلى أنواع الكلام المعدّل المسجع، ثمّ إلى موزون معدّل غير مسجع.."[1]

إلّا أنّ البنية الصّوتيّة في القرآن الكريم جاءت مخالفة لما بيّن الباقلّاني من أقسام الكلام المنظوم، فقد أُحدِث في هذا النّظام الصّوتيّ نوعا من الامتزاج جرت فيها أصواته بتناغم سلس[2].ويذكر الباقلّاني بعد إيراده لصنوف الكلام المتمايزة وفق البناء الصّوتيّ،قوله :"وقد علمت أن القرآن الكريم خارج عن هذه الأمور ومباين لهذه الطّرق"[3]

ومن إشارات الباقلّاني في الانسجام الصّوتيّ، أنه أوجب على النّاظم كلامه "أن يتخيّر من اللّفظ ما كان أقرب إلى الدّلالة على المراد وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع على الأذن ومستنكر المورد على النّفس حتّى يتأبّى بغرابته في اللّفظ عن الإفهام"[4]

فالباقلّاني يشترط التّناسب والانسجام الصّوتيّ في بنية الألفاظ الموضوعة للإبانة على المعنى.

---

[1] ـ الباقلّاني، إعجاز القرآن، ص:189

[2] ـ ينظر، المصدر السابق، ص:191

[3] ـ المصدر نفسه، ص:191

[4] ـ نفسه ، ص:169

2.الاعتدال في الحروف:

ويرى الباقلانيّ أنّ اللّسان العربيّ يجري على اللّفظ الأعدل حروفا، فصار أكثر كلامهم من الثّلاثيّ، وأهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها من الثّنائي والرباعي والخماسيّ فلو "كان كلّه ثنائيّا لتكرّرت الحروف، ولو كان رباعيّا أو خماسيّا لكثرت الكلمات"[1]، وهذا ممّا يزيد في وعي الباقلّاني بالانسجام الصّوتيّ.

ويرى الباقلاني بأن اللغة العربيّة تحقّق الانسجام الصّوتي أثناء التّركيب بخلاف ما سواها فهي خارجة عن الاعتدال فقد " يتكرّر في بعض الألسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيرا"[2] ويمثّل لذلك باللّغة اليونانيّة التّي يتكرّر نطق حرفي الطّاء والسّين، وبالتّالي يرى بأنّه لا يمكن نظم الشّعر في تلك الألسنة على الأوزان التّي تتاح في اللّغة العربيّة.

ويشير الباقلّاني إلى أن الأغراض القائمة في النّفوس تحتاج إلى ما يعبّر عنها، وقد شبّهت العرب النّطق بالخطّ، ويمضي في تحليل هذا الرّأي فيقول :"والخطّ يحتاج مع بيانه إلى رشاقة و صحّة ولطف، حتّى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال"[3] فلفظتي (الفضل) و(الكمال) من متعلقات الانسجام ، وكما يحتاج أحذق المصوّرين إلى لطف يد في التّصوير ، فكذلك يحتاج النّاظم إلى لطف في اللّسان.[4] أي إلى توخّي الانسجام والتّلاؤم بين مخارج الحروف.

وقد وصف الباقلّاني الكلام المنسجم صوتيّا بالحسن والرّشيق والنّضر والبهيج.

---

[1]- الباقلاني، إعجاز القرآن ،ص:170

[2] - المصدر السابق ، ص:170

[3] - نفسه ، ص:171

[4] - ينظر، نفسه ص:171

كما اختار الباقلّاني من كتاب (البيان والتّبيين) للجاحظ مفاهيما للبلاغة والتّي من بينها قول مرّة :" قلّة الخرق بما ...، أو بما غمض وشرد من اللّفظ وتعذّر، وزينته أن تكون الشّمائل موزونة والألفاظ معدّلة واللّهجة نقيّة..."[1]، ومقصد هذا القول هو تجنّب اقتناء الألفاظ الغامضة ، فزينة الكلام البليغ كونه موزونا وألفاظه معدّلة ولهجته نقيّة وبالتّالي منسجم وزنا ونطقا. ويرى الباقلّاني من أنّ الكلام " يحسن بمجانسة القوافي وإقامة الوزن"[2] وبالتالي فالباقلّاني يؤكّد على أهميّة الانسجام الصّوتي ويرى بأنّه يمثّل معيارا لجودة الكلام من عدمه.

والباقلّاني يصنّف القرآن الكريم على أنّه يجسّد أعلى مراتب البيان ويصفه بأنّه حسن الموقع في النّفس وسهل على اللّسان التّلفّظ به.

ب ـ الانسجام التّركيبيّ:

اصطلح الباقلّاني على الانسجام التّركيبيّ بالنّظم والتّأليف، وقد اعتنى به بشيء من التحليل والتّفصيل وذلك في إطار تحليله لآي الذّكر الحكيم. ويرى الباقلّاني في مزيّة الانسجام التّركيبيّ من عدمه " فإنّ إحدى اللّفظتين قد تنفر في موضع وتزلّ عن مكان لا تزلّ عنه اللّفظة الأخرى، بل تتمكّن فيه وتضرب بجرانها وتراها في مظانّها، وتجدها فيه غير منازعة لأوطانها، وتجد الأخرى . لو وضعت موضعها . في محلّ نفار ومرمى شراد، ونابية عن استقرار"[3]، حيث رأى أنّ من أسس تحقّق الانسجام التّركيبيّ مراعاة اختيار اللّفظة المناسبة.

ويسوق الباقلّاني أمثلة عديدة من القرآن الكريم في ذروة انسجاما وتلاحمها منها قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي**

[1] ـ الباقلّاني: إعجاز القرآن:ص:178
[2] ـ نفسه ،ص:299
[3] ـ نفسه ص:225

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[1]تأمّل هذه الكلمات الثّلاث، فالكلمات الاوّليّان مؤتلفان وقوله: ﴿ **أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** ﴾ كلمة منفصلة مباينة للأولى قد صيّرها شريف النّظم أشدّ ائتلافا من الكلام المؤتلف ،و ألطف انتظاما من الحديث الملائم. والواضح هنا أن الكلمة تعني الجملة أو جزء الجملة.[2]

إلّا أنّ الباقلّاني لم يبيّن سبيل هذا الانسجام التركيبيّ لغويّا إلّا ما جاء عفوا في شكل ملاحظات وجيزة أثناء تحليله للانسجام الدّلالي والذّي حظي بالنّصيب الأوفر من اهتمامه، ومن إضاءاته حول أدوات الانسجام التّركيبيّة :

1. الفصل والوصل :

وقد ساق الباقلّاني لهذا المظهر مثالا من القرآن العظيم وهو في ما ورد على لسان ملئ بلقيس حين سألتهم المشورة ﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[3] فلا "تجد في وصفهم أنفسهم أبدع ممّا وصفهم به المولى سبحانه، وقوله تعالى :﴿**وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ** ﴾تعلم براعته بنفسه... وموضع اتّفاقه في الكلام وتمكّن الفاصلة وملائمة لما قبلها"[4].

2. الإيجاز :

بالرّغم من أنّ الباقلّاني لم يستفض أثناء حديثه في هذا المظهر إلّا أنّنا رأينا أن نخصّص له عنوانا مستقلّا لإجادة الباقلّاني في تبيان أهميّة هذا المظهر في انسجام

[1] ـ سورة الشّعراء، آية: 52-53
[2] ـ ينظر، الباقلاني، المصدر السابق ص: 214
[3] ـ سورة النمل، آية :33.
[4] ـ المصدر نفسه، ص:232

الكلام. ونبقى في نفس المثال السّابق في قوله سبحانه :﴿ **وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِين**﴾ [1]

يقول الباقلّاني :" فانظر إلى هذا الاختصار، وإلى البيان مع الإيجاز، فإنّ الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التّخفيف مع الاختصار، وهذا ممّا يزيده الاختصار بسطا لتمكّنه ووقوعه موقعه...وكم جئت إلى كلام مبسوط يضيق عن الأفهام ووقعت على حديث طويل يقصر عمّا يراد به التّمام..."[2]فالباقلّاني يحاول في هذه المقولة إبراز أهميّة الإيجاز في انسجام التّركيب وما يلقي هذا الأخير من ظلال تسهم في انسجام دلالة هذا التّركيب، فالباقلّاني يحاول دائما ألّا يفاضل بين الشّكل و المضمون (اللّفظ عن المعنى)

3 . الإبدال :

ويشير إليه الباقلّاني في قوله تعالى حكاية عن النبيّ موسى عليه السلام في غير موضع وباختلاف التّصرّف في الصّياغة مع ثبات حليته الانسجاميّة، يقول تعالى في سورة النّمل :﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ [3] قال في سورة طه :﴿ **إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ [4]، وفي سورة القصص ﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ**

[1] ـ سورة النّمل، آية: 33
[2] ـ الباقلاني، إعجاز القرآن ، ، ص:233
[3] ـ سورة النّمل،آية: 07
[4] ـسورة النّمل، آية: 10

لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[1]

فقد أعاد المولى سبحانه وتعالى "قصّة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة ."[2]

ورغم اختلاف التّصرّف في التّركيب إلّا أنّ،كلّ قصّة كما يقول الباقلّاني "بليغة بنفسها تامّة في معناها"[3]

ب ـ الانسجام الدّلاليّ :

اهتمّ الباقلّاني بالمستوى الدّلالي للقرآن الكريم وأولاه عناية كبيرة بخلاف ما سبق من المستويات، ويرى أنّ هذا الانسجام أو "تعادل النّظم في الإعجاز"[4] كما قال يكون في "مواقع الآيات القصيرة والطّويلة والمتوسّطة"[5]إذا ما تدبّرتها سورة سورة أو آية آية وتدبّر الخواتم والفواتح، والبوادئ والمقاطع، ومواضع الفصل والوصل ومواضع التّنقّل والتّحوّل.إلّا أنّه لم يبيّن سبيل هذا الانسجام وإنّما اكتفى بسرد جملة من الأمثلة تبيّن أنّ هذا الأخير محقق في القرآن الكريم.

ومن مظاهر الانسجام الدّلالي في القرآن الكريم عند الباقلاني :

1. انسجام الائتلاف والاختلاف:

يقول الباقلّاني في هذا المظهر :"والقرآن على اختلاف فنونه وما يتصرّف فيه من الوجوه الكثيرة والطّرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب،

---

[1] ـ السّورة السابقة، آية: 29
[2] ـ الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص:231
[3] ـ المصدر السابق ، ص:230
[4] ـ المصدر السابق ، ص:234
[5] ـ نفسه، :234

والمتنافر في الأفراد إلى حدّ الآحاد، وهذا أمر عجيب، نبيّن به الفصاحة وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حدّ العادة ويتجاوز العرف"[1]

وهو من أهمّ وجوه تميّز الانسجام الدّلاليّ القرآنيّ، وأوفرها حظّا وعناية عند شيخنا، من خلال تحليل الآيات، ليرشد إلى تفوّقها في الانسجام وإن تباينت مدلولاتها.

وكان الباقلّاني كثيرا ما يشير إلى انسجام الآيات بعد ما يفرد كلّ جملة أو كلّ آية بعد أن يتبيّن طبيعة معناها، ثمّ ينظر إلى التّي تليها نظرا يوسمها عمّا قبلها ثمّ يشير إلى ما بينهما من التّآلف أو التّخالف وبالطّبع هذا التّمييز هو على مستوى المعنى.

ويهدف الباقلّاني من وراء هذه الدّراسة إلى اكتشاف كيفيّة الانسجام بين "المعاني الجزئيّة الماثلة في الجملة والجملتين أو الماثلة بين أجزاء الجملة وكذلك العلاقات بين الأغراض الماثلة في الفقر"[2]وهي ما حدّدها كلّ من هاليداي ورقيّة حسن من (عام وخاصّ ، ومجمل ومفصّل...)

فمن التّأليف بين المختلف قوله تعالى :﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [3]

ويعلّق الباقلّاني عليها بقوله :"وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع، نائية المطارح قد جعلها النّظم البديع أشدّ تآلفا من الشّيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقا من المتطابق في أوّل الوضع"[1]

---

[1] ـ الباقلّاني، المصدر السابق ،ص:235

[2]ـ نفسه، ص:210

[3] ـ سورة القصص، آية: 77

ومن الكلمات النّائية المطارح المتباعدة المواقع التّي ألّفها النّظم البديع وصارت به متجانسة متآنسة.[2] قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون**﴾ [3] ويحصل التّباعد في كون الجملة الأولى إخبار عن الحقّ بأنّه يخلق ما يشاء ويختار، والثّانية إخبار عن المعبود بالباطل بأنّه لا يخلق ولا يختار، والثّالثة تسبيح وتحميد، وبالتّالي فهي معان متغايرة تآلفت وانسجمت ببديع النّظم حيث ترى أنّ سبحانه أثبت الخيرة في الجملة الأولى، ثم نفاها في الثّانية، لتأتي الجملة الثّالثة وفيها تسبيح له سبحانه الذّي يخلق ويختار عن أن يكون له شريك في الملك.

أمّا الانسجام بين معان مؤتلفة أو متقاربة فهي كثيرة الورود في القرآن الكريم منها ما جاء في قوله تعالى :﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾ [4]ووجه التّقارب بين هاته الجمل هو انّك ترى الجملة الثّانية مترتّبة عن الأولى، فالأولى إخبار عن خسف الله تعالى بقارون وبداره، والثّانية إخبار بأنّه لم يكن له من ناصر يعصمه من هذا الخسف، أمّا الثّالثة فتفيد أنه ليس من المنتصرين بل مخذول في أمره كلّه.[5]

وفي نفس السّياق يقول المولى سبحانه:﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [6]

ويختم الباقلاني هذا المظهر الانسجامي بقوله: " فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النّظم في هذا القدر، وما يجمع ما تجمع هذه الآية: من

---

[1]- الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص: 212
[2] - ينظر، المصدر السابق ،ص:234
[3] - سورة القصص، آية:67
[4] - سورة القصص، آية: 81
[5] - ينظر نفسه، ص:235
[6]- سورة القصص، آية : 88

شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة، واتل ما بعدها من الآيات، واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء: من احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار، ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعليّ الضمّ".[1]

2. انسجام الأغراض المختلفة:

يرى الباقلّاني أنّ هذا المظهر يظهر بصورة جليّة من خلال تناول الصّورة كاملة، وقد عرض لنا سورة **النّمل** وسورة **غافر** ووقف عند مواطن هذا التّخلّص، فيشير إليها فحسب دون أن يخوض في تحليلها، حيث وقف في سورة النّمل عند الانتقال من ذكر آيات القرآن والكتاب المبين، إلى قصّة موسى عليه السّلام: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ، إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[2]

حيث نقل المولى سبحانه كلامه من مقام مخاطبة النبيّ الكريم محمّد صلوات الله عليه وتلقّيه القرآن إلى مقام سرد قصّة موسى عليه السّلام,ثمّ وقف الباقلّاني عند قوله تعالى :﴿ **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[3]

محاولا تحليل التّلاحم المعنوي من خلال هذا المقام، قائلا :"فانظر إلى ما أجرى له الكلام من علوّ أمر هذا النّداء ، وعظم شأن هذا الثّناء،وكيف انتظم مع الكلام

[1] ـ الباقلّاني، السابق، ص:238
[2] ـ سورة النّمل، آية: 06-10
[3] ـ سورة النّمل، آية: 08

الأوّل؟ وكيف اتّصل بتلك المقدّمة ؟ وكيف وصل بها من الإخبار عن الرّبوبيّة ؟ وما دلّ بها من قلب العصا حيّة، وجعها دليلا يدلّ عليه ، ومعجزة تهدي إليه ؟"[1]

ثمّ يحلّل الباقلّاني هاته المعاني المنسجمة فيرى أنّ علوّ أمر النّداء قد يكون لإضمار الفاعل على شرط الفخامة . أي لتعظيم المنادى سبحانه . فقد فسّر النّداء بقوله: ﴿**بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ ...فقد ذكر صيغة هذا النّداء مقترنة بصيغة المفاجأة: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ**﴾ ولم يقل مثلا: فلمّا جاءها سمع مناديا ،أو سمع نداء.وتأمّل الجملة التّي دمجت المعنيين، مع ما بينهما من تباعد، وذلك في قوله عليه السّلام لأهله: ﴿**إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾

والثّاني هو النّداء وما يتبعه من آيات باهرات :﴿ **يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ وهذه اللّحمة ماثلة في هذا الشّرط الذّي عقد طرفي الكلمين، فآخر المعنى الأوّل هو مجيء موسى إلى النّار، وأوّل المعنى الثّاني هو هذا النّداء الأعظم :﴿ **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾.

والملاحظ من تحليل الباقلّاني لآي الذّكر الحكيم أنّه كان دقيق الإحساس بالمواطن التّي ينتقل عندها الكلام من معنى إلى معنى آخر مع ديمومة الانسجام والتّلاحم في النّظم، ويعجب لسريان ذلك الانسجام في القرآن الكريم.[2]

. العلاقات الدّلاليّة:

رغم قدم عهد الباقلّاني إلّا أنّه كانت له إضاءات لافتة في حقل الدّرس اللّغوي الحديث ، وقد رأينا العلاقات الدّلاليّة عند كلّ من هاليداي ورقيّة حسن إلّا أنّ الباقلّاني كان له فضل السّبق في ذكر دور هاته العلاقات في الانسجام النصّي،

[1] ـ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص:231
[2] ـ المصدر السابق، ص:217

.الإجمال والتّفصيل:

يقول الباقلّاني : ما رأيك في قوله تعالى :﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [1] فهاته الكلمات تشتمل على جملة وتفصيل فالإجمال فيه لعلوّ فرعون في الأرض ثمّ يبيّن تعالى كيفيّة علوّ فرعون في الأرض باستضعاف الخلق بذبح لولدان وسبي النّساء[2] فالتّفصيل يقع في الفعلين الأخيرين وهذه مقاربة تحتسب للباقلّاني، ثمّ يذكر الباقلّاني الفاصلة الأخيرة ﴿ **إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ وهي فاصلة معنويّة زادت في تأكيد مدى علوّ فرعون في الأرض وردّت آخر الكلام على أوّله.[3]

.ردّ عجز الخطاب إلى صدره:

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ، وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ [4]، يقول الباقلّاني: "فانظر إلى ما قال من ردّ عجز الخطاب إلى صدره بقوله سبحانه: ﴿**فأخذتهم فكيفَ كانَ عِقاب**﴾ ثمّ ذكر عقيبها العذاب في الآخرة، واتلاها تلو العذاب في الدّنيا"[5].

---

[1] ـ سورة القصص، آية: 04
[2] ـ ينظر، الباقلاني،المصدر السابق، ص:234
[3] ـ ينظر، نفسه، ص:234
[4] ـ سورة غافر، آية: 06
[5] ـ الباقلاني، المصدر السابق، ص:238

خلاصة:

من خلال المحاولة التّي عقدناها في اجمال مبادئ الانسجام عند الباقلاّني، نستخلص جملة من الملاحظات هي كالآتي :

. اعتبر الباقلاّني الخطاب القرآني وحدة كاملة رغم تنوّع جزئيّاته. وهذا ما يعكس وعيه بالانسجام النصّي.

. استطاع الباقلاّني النّظر إلى النصّ من حيث ائتلافه وتلاحمه دون أن يتعمّق أكثر من ذلك.

. حاول الباقلاّني أن يفسّر كيفيّة انسجام النصّ القرآني رغم تعدّد مواضيعه.

. رغم وعي الباقلاّني بتحقّق الانسجام بمستوياته في الخطاب القرآني، وتفاوته في الخطاب الآدمي(البشري) إلّا أنّه اكتفى بتأكيد الانسجام ولم يبيّن سبيل وقوعه أو شروط تحقّقه.

. من أهمّ المبادئ التّي ساعدت الباقلاّني على الالمام بظاهرة الانسجام عنايته الشّديدة بثنائيّة (اللّفظ والمعنى) وعدم مفاضلته بينهما.

. يعتبر الباقلاّني أحد أبرز العلماء الذّين شاركوا مشاركة مبكّرة في دراسة المناسبة إمّا بين السّور أو الآيات أو الفواتح والخواتم....

. استغرق الباقلاّني في الثّناء على انسجام الخطاب القرآني ما أشغله عن الاستغراق في كيفيّة وقوع هذا الأخير.

. لم يحقق الباقلّاني الهدف الذّي قال بأنّه يرمي إليه وهو بيان كيفيّة وقوع الإعجاز القرآني لغويّا وإنّما اكتفى بوصفه ظاهريّا دون الخوض في المسائل اللّغويّة بشيء من التّفصيل.

الفصل الثالث :

مبادئ الانسجام في الفكر النّقديّ العربي التّراثيّ

1- المبادئ الصوتية

2 – المبادئ التركيبيّة

3 – المبادئ الدّلاليّة

لقد اهتمّ النّقد العربيّ بالشّعر العربيّ عامة والقصيد خاصّة. ووقفوا على أهمّ المبادئ التّي تجعل الشّعر متلاحما، كما نبذو كلّ ما يشين هذا التّلاحم أو يسقطه. وهذا ما تثبته جملة من آرائهم النّقديّة والتّي منها: إيراد الجاحظ مصطلح (القران)، والذّي يتأكّد لنا من خلال" قول بعض الشّعراء لصاحبه: أنا أشعر منك، قال: ولم؟ قال: لأنّي أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمّه"[1]، فكلمة (أخاه) توحي بالتّقارب والتّرابط، فيم توحي كلمة (ابن عمّه) بالتّفاوت وعدم الصّلة الوثيقة بين الأبيات.

وهو ما نقرأه كذلك في :"وعاب رؤبة شعر ابنه، قال: ليس لشعره قران"[2] أي ليس لشعره ترابط أو تلاحم.

وقد قام ابن قتيبة بشرح قول رؤبة في مؤلّفه (الشّعر والشّعراء) بقوله: "...ليس لشعره قران، يريد أنّه لا يقارن البيت بشبهه."[3]

كما ذمّ ابن قتيبة في غير موضع التكلّف في الشّعر، بأن ترى " البيت مقرونا بغير جاره، ومضمونا إلى غير لفقه"[4]، يبرز وعيه بأهميّة التّرابط بين أجزاء القصيد. ولقد اختلفت عناية النّقاد العرب حول الانسجام بحسب اختلاف معاييرهم لجودة الشّعر من عدمه، فمنهم من ركّز على جودة الشّعر من ناحية الإيقاع الوزن القافية ومنهم من جنح لجودة التّركيب ومنهم من فاضل بحسب الإجادة في التّصوير، وسنحاول في المباحث التّالية أن نقف على نصوصهم النّقديّة بهذا الشّأن، بأن نصنفها ضمن مبادئ.

1 . المبادئ الصّوتيّة:

[1] ـ الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص:228
[2] ـ المصدر السابق، ص:68 و229
[3] ـ ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء،طبعة محقّقة ومفهرسة، دار الثّقافة، بيروت، لبنان،ط2،ج1 ، ص:34
[4] ـ المصدر السابق، ص:34

أ . المآلفة بين الحروف:

من أبرز ما عني النقاد في دراساتهم، دور الصّوت في الكلمة والتّركيب، والصّوت كما يصفه الجاحظ هو :"آلة اللّفظ والجوهر الذّي يقوم به التّقطيع وبه يوجد التّأليف ، ولن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلّا بوجود الصّوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتّقطيع والتّأليف" [1]

ويعدّ الجاحظ من أبرز النقّاد الذين اهتمّوا بالانسجام الصّوتيّ، ولعلّ تعليقاته حول ذمّ الشّعر المفكّك هيّ أكبر دليل على ذلك فهو يقول:" وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللّسان كما يجري على الدّهان"[2]، فالشّعر الحسن عنده ما كانت مقاطعه مترابطة، ومخارج حروفه وكلماته وجمله ومقاطعه، سهلة متناسبة، فتتبيّن من خلال قراءته أنّه مسبوك ومتلاحم لا يشقّ على اللّسان التّلفّظ به.

كما علّق الجاحظ على بيت أنشده أحد الشّعراء بما يلي:"...وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر تراها متّفقة ملساء، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقّ على اللّسان وتكدّه، والأخرى تراها سهلة ليّنة... خفيفة على اللّسان، حتّى كان البيت بأسره كلمة واحدة، وحتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد"[3]. ويصل بنا الجاحظ من خلال هذه المقولة إلى اهتمامه بتآلف الحروف وهو ما يظهر في قوله: وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر، أي أنّ الانسجام لا يشترط وقوعه فقط على مستوى مقاطع النصّ الشّعريّ، بل على العكس،

[1] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص:67
[2] ـ المصدر السابق، ص:67
[3] ـ المصدر نفسه، ص:67

فانسجام الحروف من خلال اتّفاقها فيما بينها و ليونتها على مخارج النّطق بها، سيجعل البيت كالكلمة والكلمة كالحرف .

ولتأكيد رؤيته لتلاحم أجزاء الشّعر، يورد الجاحظ بعد القول الذي سيق بقليل رأيا آخر يقول فيه :"فهذا في اقتران الألفاظ .فأمّا في اقتران الحروف فإنّ الجيم لا تقارن بالظّاء ولا القاف ولا الطّاء ولا العين بتقديم ولا بتأخير، والزّاي لا تقارن الظّاء ولا السّين ولا الضّاد ولا الذّال بتقديم ولا بتأخير"[1]، حيث يرى الجاحظ أنّ الشّرط الأساسيّ وراء تناسب الحروف أن تكون متباعدة المخارج. ويستشهد ببيت خلف الأحمر :

وبعض قريض القوم أولاد علّة يكدّ لسان النّاطق المتحفّظ.[2]

أي أنّ من الأقوام من يكدّ على النّاطق مشابهتهم في الكلام لما في لغتهم من علّة اقتران الحروف لتقارب مخارج النّطق بها.

فالمقولات السّابقة تثبت يقينا إدراك الجاحظ لأهميّة البعد الصّوتيّ والمتعلق بانسجام الحروف ومدى تآلفها أو تنافرها، فالتّآلف مرتبط بتباعد مخارج الحروف سواء في الكلمة أو الكلمات المتجاورة، والتّنافر مرتبط بتقارب المخارج أو تنافرها.[3]

ب . الوزن والقافية:

ونظرا لأنّها السّمة التّي يتميّز بها الشّعراء فيم بينهم، فقد وقف النقّاد على هذا المبدأ بشيء من الحزم. فقد أشار **ابن قتيبة** إلى أنّ من أسباب اختيار الشّعر لديه، ما يتعلّق بالإيقاع الذّي يكون في حسن الرويّ وخفّته بوصفه سببا في حفظ الشّعر وروايته.[4]، كما وصف **ثعلب أبو العباس** الشّعر الذّي يسلم من عيوب الوزن والقافية

[1] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:69
[2] ـ ينظر، المصدر السّابق، ص:66
[3] ـ ينظر، محمد خطابي، لسانيات النصّ/ مدخل إلى انسجام الخطاب،ص:143
[4] ـ ينظر، ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، ج1، ص:29-30

ب"اتّساق النّظم"[1] ، وعدّ ابن طباطبا العلوي (اعتدال الوزن) سمة من سمات الشّعر المحكم.[2]

أمّا قدامة بن جعفر فقد رأى في الوزن "أن يكون سهل العروض"[3]، ورأى في القافية أن تكون "عذبة الحرف، سلسة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأوّل في البيت الأوّل من القصيدة مثل قافيتها"[4]

كما اتّخذ الآمدي من الاتّفاق في الوزن والقافية وإعراب الفاقية أساسا في موازنته بين أشعار كلّ من أبي تمام والبحتري.[5] وأبرز المرزوقي أهميّة الوزن والقافية أثناء عرضه عناصر عمود الشّعر، وهو ما يظهر في قوله:"عيار التحام النّظم والتئامه على تخيّر من لذيذ الوزن"[6]، وقام بإدراج مشاكلة اللّفظ للمعنى وانسجامهما مع القافية القافية ضمن خصائص عمود الشّعر عند العرب، في قوله: "وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر، يتشوّفها المعنى بحقّه واللّفظ بقسطه، وإلّا كانت قلقة في مقرّها، مجتلبة لمستغن عنها"[7]

فالوزن والقافية في الشّعر مبدأ يحقّق الانسجام الصّوتيّ على مستوى النصّ الأدبيّ، وذلك بتجلّيها وفق نمط إيقاعي منتظم.

---

[1] ـ أبي العبّاس ثعلب، قواعد الشّعر، تحقيق، رمضان عبد التوّاب،مكتبة الخانجي، مصر،ط3،2009م، ص:63

[2] ـ ينظر، ابن طباطبا، عيار الشّعر،تحقيق عباس عبد الستار، نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2،2005م، ص:15

[3] ـ قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، ص:87

[4] ـ المصدر السابق، ص:86

[5] ـ ينظر، أبو القاسم الحسن الآمدي، الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطّائي، وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة العلميّة، بيروت لبنان، د ت، د ط ص: 11، 269،380

[6] ـ أبي علي المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام،علق عليه وكتب حواشيه، غريد الشّيخ، وضع فهارسه العامّة إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1،2003م، ج1، ص:11

[7] ـ المصدر السابق، ص:12

2. المبادئ التركيبيّة:

وكذلك فقد كان للنّقاد وعيا مهمّا ومتقونا بالانسجام التّركيبيّ الذي يعنى بترابط الكلم في النصّ، فكان من بينهم الجاحظ الذّي اهتمّ بالانسجام التّركيبيّ تحت مصطلح "تلاحم الأجزاء" فقال:" وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه سبك سبكا واحدا وأفرغ إفراغا واحدا فهو يجري على اللّسان كما يجري على الدّهان.."[1]

ويظهر اهتمام الجاحظ بالانسجام التّركيبيّ من خلال ذمّه الشّعر المفكّك في قوله:" ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلّا ببعض استكراه. فمن ذلك قول الشّاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبرُ

ومن ذلك قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين استبطأه:

هل معين على البكاء والعويل أمّ معزّ على المصاب الجليل

ثمّ قال:

لم يضرّها والحمد للّه شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقّد النصّ الأخير من هذا البيت، فإنّك ستجد بعض ألفاظه يتبرّأ من بعض"[2] وهو ممّا سبق له الإشارة، ما يعنى بتنافر التّركيب وعدم ليونته.

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:67

[2] - المرجع السابق،ص:65-66

وممّا أورد الجاحظ أيضا من تعليق حول استهجان تنافر الكلم أنّه قال :" وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا، كان على اللّسان عند إنشاد ذلك مئونة"[1]

كما علّق على البيت الذّي أنشده الرّياحي يقول فيه:

وشعر كعرّ الكبش فرّق بينه لسان دعيّ في القريض دخيل

بما يلي :"..وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر تراها متّفقة ملساء، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقّ على اللّسان وتكدّه، والأخرى تراها سهلة ليّنة...خفيفة على اللّسان، حتّى كان البيت بأسره كلمة واحدة، وحتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد"[2]

كما أشار ابن طباطبا إلى الشّعر الحسن بقوله:" وأحسن الشّعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتّسق به أوله مع آخره على ما ينسّقه قائله... يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أوّلها نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة ألفاظ...حتّى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغا...تقتضي كلّ كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلّقا بها مفتقرا إليها"[3] فإن هذا النصّ يكشف عن وعي لا سبيل لإنكاره بالانتظام الذي يضمن انسجاما تركيبيّا للنصّ. وهو ما اصطلح له مصطلح (الاتّساق)، من خلال قوله: "انتظاما يتّسق"، فيرى أنّ حلّة الانسجام تحوّل القصيدة إلى كلمة واحدة، كما يرى أن الانسجام يقع على مستوى القصيدة (أي النصّ بكليّته)، كما يكون على مستوى الألفاظ من خلال جزالتها، حتّى تكون القصيدة كالبناء يقتضي كلّ قسم منه القسم الموالي له، ليتمّ المعنى ويتّحد النّسج.

---

[1]- المصدر السابق، ص:67

[2] - نفسه،ج1، ص:67

[3] - ابن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، تحقيق عباس عبد الستار، نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 2005م، ص: 11

وميّز ابن طباطبا بين نوعين من القصيد وذلك في قوله :"فمن الأشعار أشعار محكمة متّفقة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني ، عجيبة التّأليف إذا نقضت ولو جعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها، ومنها أشعار مموّهة، مزخرفة عذبة، تروق الأسماع والأفهام إذا مرّت صفحا فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها..."[1] والشّعر بناءا على هذا الوصف نوعان هما :

الشّعر:
- محكم = معانيه قويّة وذو جودة. فهو كالقصر المشيّد، بناؤه موثق
- مموّه = يحمل عذوبة لفظيّة وفراغا معنويّا. فهو كالخيمة الموتدة، يخشى عليها التّقوّض.

كما ويردف ابن طباطبا قولا آخر له حول ما ينبغي على الشّاعر وممّا يدخل في باب الانسجام التّركيبيّ لأركان القصيد :"وينبغي للشّاعر أن يتأمّل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتّصل كلامه فيها... ويتفقّد كلّ مصراع، هل يشاكل ما قبله؟ فربّما اتّفق للشّاعر بيتان يضع مصراع كلّ منهما في موضع آخر، فلا يتنبّه على ذلك إلّا من دقّ نظره ولطف فهمه"[2] .

[1]- المصدر السابق، ص:131-
2 - المصدر السابق،ص :12

3 . المبادئ الدّلاليّة

وكغيره من المستويات فقد اهتمّ النقّاد بالجانب الدّلاليّ المعنويّ وكيفيّة تلاحمه وانسجامه وانسيابيته على القرائح، فكان من بين هؤلاء النقّاد ابن طباطبا والذي أكّد على ضرورة الانسجام الدّلاليّ حين قال :"إنّ للشّعر فصولا كفصول الرّسائل فيحتاج الشّاعر إلى أن يصل كلامه على تصرّفه في فنونه، صلة لطيفة، فيتخلّص من الغزل إلى المديح ومن المديح إلى الشّكوى...بألطف تخلّص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثّاني عمّا قبله"[1] حيث يلخّص هذا الأخير رؤية ابن طباطبا لماهيّة الانسجام الدّلاليّ، الذّي يظهر من خلال وصل المعاني على اختلاف نسج تراكيبها، صلة لطيفة لا متكلّفة أو مستكرهة.

كما يرى أن من مظاهر الانسجام الدّلاليّ، رقّة الخلوص من غرض إلى غرض آخر(من الغزل إلى المديح) أو من المديح إلى الشّكوى مع مراعاة تغيّر تراكيب كلّ غرض، دون إغفال ضمان اتّصال هذه التّراكيب، فلا نلمس أيّ انقطاع بين المعاني المختلفة.

ونستطيع تصنيف مظاهر الانسجام الدّلاليّ لدى ابن طباطبا في النّقاط التّالية:

- ✓ أن يصل كلامه، على تصرّفه في فنونه، صلة لطيفة.
- ✓ أن يتخلّص من غرض إلى آخر بألطف تخلّص.
- ✓ أن لا ينفصل المعنى الثّاني عمّا قبله.

وقد أشار الحاتمي كغيره من النقّاد، تصوّره لما ينبغي أن يكون عليه شكل القصيد المحكم المعنى وذلك حين قال :"من حكم النّسيب الذّي يفتتح به الشّاعر كلامه أن يكون كلامه ممزوجا بما بعده من مدح أو ذمّ متّصلا به، غير منفصل

[1] -ابن طباطبا : عيار الشعر: ص:131

عنه"[1]، كما جعل الحاتمي الشّرط الأساسي لتحقيق الانتقال بين الأغراض هو الاتّصال بين الغرضين بطريقة تضمن الاتّصال والتّلاحم بين المعنيين، أما قوله "ممزوجا" يفيد أنّ طريقة الوصل "ينبغي ألّا تشعر القارئ بأنّه خرج من كلام إلى كلام"[2] وهو ما يحقّق الانسجام الدّلاليّ.

وقد شبّه الحاتميّ القصيدة بالكائن الحيّ لما فيه من انسجام عجيب، وذلك في قوله:" إنّ القصيدة مثل خلق الإنسان في اتّصال بعض أجزائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحّة التّركيب، غادر بالجسم عاهة تتخوّن محاسنه، وتعفي معالم جماله"[3]

لقد وصل الحاتمي إلى إدراك كليّة النّص ، من حيث مساهمة كلّ جزء في إعطاء الكلّ صورة متناسقة متناسبة لا يلحظ فيها تشوّه ناتج إمّا عن الانفصال وإمّا عن التّباين بين الأطراف[4]،إنّ ما يقصده الحاتمي من هذا التّشبيه هو إبراز ضرورة التّناسب بين الأطراف(النّسيب ، المديح...) بحيث لا يكون أحدهما مفرطا في الطّول والآخر قصيرا أو مبتورا، أو أحدهما جزلا مسترسلا والآخر ضعيفا..

فهذا الإدراك الكلّي للقصيدة ، ولو كان محدودا، إلّا أنّنا نستطيع اعتباره بداية الوعي في كيفيّة ترابط الأجزاء وتماسكها لتنتج نصّا متكاملا وبالتّالي منسجما.

[1] ـ محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص:148
[2] ـ المرجع السابق، ص:148
[3] ـ المرجع نفسه، ص:148
[4] ـ ينظر، المرجع نفسه، ص:148-149

الفصل الرابع:

مبادئ الانسجام في (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)

لأبي الحسن حازم القرطاجنّي.

مباحث الفصل الرابع :

1ـ أبي الحسن حازم القرطاجنّي :

أ ـ أصله ونسبه

ب ـ تكوينه العلميّ.

ج ـ أهمّ مؤلّفاته.

2ـ كتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء:

أ ـ شكله ومضمونه.

ب ـ منهجه.

1ـ المنهج العام.

2 ـ المنهج الخاصّ.

3ـ مبادئ الانسجام المبثوثة فيه:

أ ـ الانسجام الصّوتي.

ب ـ الانسجام التّركيبيّ.

ج ـ الانسجام الدّلاليّ.

1. أبي الحسن حازم القرطاجنّي:

أ . أصله ونسبه:

هو أبو الحسن حازم بن محمّد الأنصاريّ القرطاجنّي، ولد بسرقسطة سنة 554 هـ / 1159م، ولمّا يفع انتقل إلى مرسى قرطاجنّة الرّومانيّ العتيق و إليه يرجع نسبه.

قضى طفولته في حفظ القرآن الكريم ، كما أخذ عن والده قواعد اللّغة العربيّة إلى جانب الإلمام بجملة من قضايا الفقه وعلوم الحديث ، كان شيخنا مالكيّ المذهب في الفقه ، بصريّا نحويّا كغيره من علماء الأندلس ، حافظا للحديث، راوية للأخبار والأدب، شاعرا.

فكان زاده المعرفيّ نتاج العديد من الرّحلات بين مدينة مرسيه التّي لا تبعد عنه بالإضافة إلى كلّ من غرناطة واشبيلية، ومناطق في جنوب الجزيرة توقا لاستزادة العلم والمعرفة .

هاجر إلى المغرب الأقصى بعد سقوط قاعدة الأمويين في الأندلس بيد النّصارى ، واحتلال الإسبان قرطبة سنة633 هـ/1236م،ولم يستقرّ به المقام كثيرا بمرّاكش لما بها من اضطرابات أمنيّة ، بل هاجر إلى تونس أيام الدّولة الحفصيّة، أين مثل فور وصوله إليها بين يدي الأمير أبي زكرياء الأوّل وأنشده قصيدته "الصّاديّة" والتّي تعدّ من إحدى روائعه ضمّ فيها بيعته لهذا الأمير وسأله الحماية وناشده إنقاذ الأندلس المنكوبة.

توفّي علّامتنا سنة 674 هـ/1285م رحمه المولى سبحانه.[1]

ب . تكوينه العلمي:

لقد قارب عدد شيوخ حازم كما ذكر أحد المفكّرين الألف شيخ، فكان أوّلهم والده،ثمّ أخذ عن كلّ من الطّرنوسي والعروضي، جمع العديد من الأسانيد والإجازات، كما أخذ عن عمدة الحديث والعربيّة الشّيخ أبي علي الشّلوبين. والذّي دفعه إلى دراسة المنطق والخطابة والشّعر، فطالع مصنّفات ابن رشد ، وكتب العديد من الفلاسفة كالفارابي وابن سيناز... كما درس كتاب الشّعر لأرسطو.

ولقد كان لجميع هذه المصادر بصمة في آثار حازم المعرفيّة.

ج . أهمّ مؤلّفاته:

من أهمّ ما عرف من آثار حازم القرطاجنّي[2]:

. كتاب "**المناهج الأدبيّة**"أو ما يعرف "**بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء**"والذّي سيكون موضوع دراسة هذا الفصل.

. "**شدّ الزّنار على جحفلة الحمار**"وهي عبارة عن رسالة ردّ بها على ابن عصفور في كتابه (المقرّب)، وهي رسالة مفقودة.

. " **القصيدة النّحويّة الميميّة**" وهي قصيدة في تسعة عشر ومائتي بيت من بحر البسيط تعتبر متنا في علوم العربيّة.

. أمّا في العلوم البلاغيّة والنّقد فله في أغلب الظنّ أربعة كتب هي :

---

[1] ـ ينظر، حازم القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربيّة للكتاب، تونس،2008م، ط3، ص: 29-30-31

[2] ـ ينظر، المصدر السابق، مقدّمة المحقق محمد الحبيب ابن الخوجة، ص:41ـ وما بعدها

. "**التّجنيس**" وهو كتاب مفقود شرحه ابن رشد، وهو أحد معاصريه.

. "**كتاب القوافي**"

. "**في العروض وعلم القافية**"لم يبق له أثر اليوم.

بالإضافة إلى حقل دراستنا وهو **(المنهاج)**وهو الرّابع من هذه المجموعة.

2 . كتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء:

أ . شكله ومضمونه:

منهاج البلغاء وسراج الأدباء كتاب ألّفه أبو الحسن حازم القرطاجنّي ، حقّقه التونسي محمّد البشير بن الخوجة ، الذّي حدّد معالمه ونقّح أساليبه، ممّا أسعفنا كثيرا، فولد بذلك كتابا مهمّا من كتب النّقد والبلاغة ، متميّزا في مضمونه ومنهجه وأسلوب طرحه.

ويظهر من خلاله تأثّر هذا الأخير بمنابع مختلفة أسّست فكره وحدّدت وطبعت طريقة طرحة وتصوّره للقضايا اللّغويّة. فاصطبغ فكره من خلال المنهاج بالثّقافة المنطقيّة بالإضافة إلى جانب تأثّره بالثّقافة اليونانيّة ، والتّي انعكست من خلال دراسته لكتب أرسطو في المنطق والخطابة والشّعر، عبر شروحات ابن رشد والفارابي وابن سينا أعمدة مؤسّسي ثقافة صاحب المنهاج، ويظهر هذا الأخير من خلال احتواء المنهاج على مواضيع متعلّقة بفكر هذا الفيلسوف والتّي كان منها حديثه عن دوافع قول الشّعر ومحرّكاته، والأثر الجمالي والنّفسي الذّي يتركه في السّامعين، واحتواء المنهاج على قضيّتي التّخييل والمحاكاة.

وكتاب المنهاج ينقسم إلى أربعة أقسام: الأوّل الذّي يعتقد أنّه تكلّم فيه عن اللّفظ، وذلك استنادا إلى أقواله وأقوال المحقّق. وقسم ثان خاصّ بالمعاني، وثالث عني فيه صاحب المنهاج بالمباني، ورابع درس فيه الأسلوب.

وقد أبان حازم عن تميّز شفّاف في كيفيّة تنظيمه لمادّة هذا الكتاب من خلال بنائه على أساس منهجيّ دقيق. كما أظهر أصالته التّحليليّة العميقة لدعائم النّظريّة الإنشائية والإبداعية والنّقدية كذلك.

وقد احتوى المنهاج على قوانين أو علم صناعة البلاغة، من خلال طرح نظريّ في مجمله، ربّما لطبيعة الموضوع الذّي عالجه في المنهاج، والمتتبّع للمنهاج يلمس فيه صبغة لغويّة في غاية التّعقيد والتّركيز.حاولنا تفكيكها والوقوف عليها من خلال موضوعنا.

ب . منهجه:

1 . المنهج العامّ :

لقد قام حازم القرطاجنّي بتقسيم كتابه إلى أربع أقسام: اللّفظ والمعنى والمبنى والأسلوب.

أوّل قسم من المنهاج قد فُقد فلا يُعلم محتواه إلّا أنّ بعض إشارات حازم إليه تشير إلى أنّه يخصّ اللّفظ.

أمّا الأقسام الثّلاثة التّي وقعت بين أيدينا فهي تبحث في كيفيّة صناعة الشّعر.

وكلّ قسم من هذه الأقسام الثّلاثة موزّع إلى أربعة أبواب، أطلق حازم على كلّ منها اسم **منهج**، ثمّ جعل المناهج أو الأبواب متألّفة من فصول إمّا يسمّيها **معلم** أو

معرف، وهو يتبعها غالبا بملاحظات بلاغيّة في فصول ختاميّة، يعنون لها بـ**مأمّ** أو **مآم** على الإفراد أو الجمع، وقد وسم فقرات منهاجه إمّا بمصطلح: **إضاءة** أو **تنوير**.[1]

فالقسم الثّاني من المنهاج يبحث في المعاني، من خلال البحث في حقائقها وأحوالها وطرق استحضارها وانتظامها في الذّهن، وأساليب عرضها وصور التّعبير عنها بتناولها في أربعة مناهج مختلفة.

فالمنهج الأوّل يعقده للإبانة عن ماهيّات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها، والتّعريف بضروب هيئاتها وجهات التصرّف فيها وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك.

أمّا المنهج الثّاني والمتألّف من اثني عشر فصلا ، بحث فيه حازم طرق اجتلاب المعاني وكيفيّات التئامها وبناء بعضها على بعض، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك.

أمّا المنهج الثّالث والمتألّف من ثمانية فصول، فقد تحدّث فيه حازم عن الاستدلالات في الشّعر وأنواعها، كما ويذكر فيه خصائص الشّعر العربيّ وموضوعاته ويقارن بينه وبين شعر الإغريق.

وفي المنهج الرّابع المتألّف من ثلاث عشرة فصلا، يشرح فيه حازم أصول النّظريّات البلاغيّة وطرق تطبيق القواعد الرّاجع إليها في صوغ المعاني على نحو ما تقتضيه وجوه تأدية المعاني.[2]

---

[1] ـ ينظر، حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مقدّمة المحقق محمد الحبيب ابن الخوجة ص:91

[2] ـ ينظر، المصدر السابق ،ص:92

والقسم الثّالث من المنهاج موضوعه المباني والأعاريض الشّعريّة، وهو يتألّف من أربع مناهج أو أبواب، يبحث فيها الأوزان وما تخضع له من قوانين وأحكام بلاغيّة ترتبط باللّفظ والتّركيب والبحر والقافية وسائر ما يتقوّم به فنّ النّظم.[1]

أمّا القسم الرّابع من المنهاج فيتناول الأسلوب بالبحث والدّراسة، والذّي قسّمه إلى أربعة مناهج. تعرّض فيها إلى الطّرق الشّعريّة ومآخذ الشّعراء في كلّ لون من ألوان النّظم بحسب ما تقتضيه أحوال الكلام فيه.[2]

2 ـ المنهج الخاصّ:

يعتبر كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) كتابا بلاغيّا نقديّا، يحمل موضوعات بلاغيّة وردت في مصنّفات مشايخة البلاغة العربيّ من أمثال الرمّاني (م384/994هـ)، والخطابي (998م/388هـ) وكذلك الجرجانيّ(1082م/ 474هـ)، كما يكمّل أعمال كثير من النقّاد من أمثال قدامة بن جعفر(958م/ 337هـ) والآمدي(981م/ 371هـ) والخفاجي(1073م/ 466هـ).

وقد تميّز هذا الكتاب عمّا سبقه من المصنّفات العربيّة، وربّما يرجع مآل هذا التّميّز إلى طريقة مؤلّفه حازم القرطاجنّي في طريقة عرضه لأفكاره وإلى لغته وأسلوبه المطروحة في الكتاب، فكلّ من يطالع هذا الكتاب يتنبّه إلى الطّريقة التّي رتّب بها والتّي سقناها سابقا، فالأقسام الأربعة التّي تؤلّف الكتاب أو الثلاثة التّي تحصّلنا عليها، تتّفق جميعا في عدد الأبواب أو المناهج المتضمّنة لعديد من الفصول. ويختم حازم أبواب كتابه بنظرّات أو قواعد عنونها ب (مآم)، وهذا لكي يفرّق بين الفصول البلاغيّة وغيرها، ثمّ يسمّي بقيّة فصول مؤلّفه **(معلم)** أو **(معرف)**، بخلاف ما عهدنا عند علمائنا القدامى من **(مقصداً)** و**(مطلبا)**، وحازم لم يقم بترقيم فقر فصول مؤلّفه

[1] ـ ينظر: ينظر: حازم القرطاجني/ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،ص:93
[2] -ينظر، نفسه ،ص:94

ربّما تسهيلا على القارئ وإنّما وسمها فيما بينها بمفردتي: **(إضاءة** أو **تنوير)** وهما مصطلحان غريبان المصدر تدلّ على الفكر المنطقي الذّي تميّز به حازم، إلى جانب هذا فقد كان حازمٌ واسع الثّقافة وهو ما تصوّره الشّواهد التّي حفل بها مؤلّفه: من قرآن كريم، وأشعار عربيّة من مختلف العصور وكذا أشعار المشارقة والمغاربة من أمثال أعشى ميمون، وابن أبي خازم، ابن المعتزّ وابن دراج وابن خفاجة. بالإضافة إلى حديث نبويّ شريف واحد.

وتميّزت لغة المنهاج باستعمال حازم لألفاظ فلسفيّة كالجوهر والعرض واللّازم ونحو ذلك، كما أتى بألفاظ قليلة الاستعمال غريبة منها: أطراب وإعتاب وصغوى.

كما اتّخذ حازم لنفسه مصطلحات لعلها يونانيّة الأصل والتّي منها التّسويم.

ولا يعدّ كتاب المنهاج سرد أو جمع لما سبق بل على العكس من ذلك، فقد قام حازم بإعادة النّظر في جميع قضايا النّقد والبلاغة وبحثها واحدة واحدة، وهو ما يبدو جليّا في دراسته لأوزان الشّعر العربيّ. حيث درسها بصورة تحليليّة مبتكرة مختلفة الضّروب والأعاريض النّظميّة، فأضفى على الأوزان الخليليّة شيئا من الجدّة، وانتهى من تعمّقه الفلسفي في قضايا النّظم والقافية إلى نظريّات شخصيّة دقيقة.

وأسلوب حازم يستدعي من الدّارس انتباها خاصّا، فهو مقتضب في عرض الأحكام والقواعد خال في الغالب من الشّواهد، إلّا أن أسلوبه التّحليلي منسجم ومتلاحم فلا نجد فيه تفاوتا في طرح القضايا ومعالجتها، ويتميّز بالتّفصيل والتّحليل، خال من التّزويق والتّشويق بخلاف الباقلّاني، فحازم علميّ في شرح مادّته، كما تميّز أسلوبه بالاعتماد على الجمل القصيرة، وإن طالت تخلّلتها جمل اعتراضية.[1]

[1] ـ ينظر حازم القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 111-114

3 ـ مبادئ الانسجام المبثوثة فيه:

لقد تجاوز النّقد العربيّ دراسته الموسومة بالجزئيّة والمقاطعيّة وفق حدود الجملة إلى مستوى النصّ، وهو ما أثبتناه في الفصل السّابق وما حمل من إضاءات نقديّة عربيّة تنمّ عن وعي وذوق فنيّ، ولقد قام حازم القرطاجنّي بتحديد مراحل إنشاء النصّ وهي:

. اختار الألفاظ.

. النّظم والبناء.

. مراعاة الغرض والهدف.[1]

1. المبادئ الصّوتيّة:

وقد كانت إشارات حازم إلى هذا النّوع من الانسجام دقيقة بالمقارنة مع شيخنا الباقلاني، ويظهر وعي حازم القرطاجنّي بالانسجام الصّوتيّ في قوله:"والتّلاؤم يقع في الكلام على أنحاء:

منها أن تكون حروف الكلام بالنّظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتّبة التّرتيب الذّي يقع فيه خفّة وتشاكل ما، ومنها ألّا تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشيّة وقلّة الاستعمال، ومنها انتتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون إحداها مشتقّة

[1]ـ ينظر، نوال لخلف، (الانسجام في القرآن الكريم ،سورة النور نموذجا)، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،2006- م2007، ص:131.

من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو من جهات أو تتماثل أوزان الكلم".[1] فحازم يرى أنّ الانسجام الصّوتيّ يكون من خلال: انسجام حروف الكلمة فيما بينها من خلال حسن اختيارها وتباعد مخارجها وأن تكون خفيفة على اللّسان حين التّلفّظ بها.. ومن الانسجام الصّوتيّ أن تكون ألفاظ جملة التركيب ممّا شاع استعماله، وتجنّب كلّ لفظ حوشيّ أو مبتذل.

. وكذا اختيار الألفاظ المتناسبة الصّفات،وهو ما نجده في المشتقّات المتغايرة المعاني مع الاشتراك بطرف من معنى جذرها الأصلي.

وكذلك من الانسجام الصّوتيّ تماثل أوزان الكلام.

ومنه أيضا . انسجام مخارج حروف اللّفظ،بأن تكون منتظمة غير متداخلة المخارج،فيرى أنّه يجب "اختيار الموادّ اللّفظيّة من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها وانتظامها وصيغها ومقاديرها. واجتناب ما يقبح في ذلك" .[2]

ويقول القرطاجنّي: "ومن ذلك التّسهّل في العبارات وترك التّكلّف، والتّسهّل بأن تكون الكلم غير متوعّرة الملافظ والنّقل من بعضها إلى بعض وأن يكون اللّفظ طبقا للمعنى تابعا له جارية العبارة من جميع أنحاءها على أوضح مناهج البيان والفصاحة."3

أي من الانسجام الصّوتيّ أيضا سهولة التلفّظ بالعبارات وتجنّب التكلّف، وكذا أن يكون تركيب اللّفظ طبقا للمعنى. وبالتّالي مناسبة اللفظ للمعنى.

ويقول القرطاجنّي: "ومن ذلك إيثار حسن الوضع والمبنى وتجنّب ما يقبح من ذلك. فمن حسن الوضع اللّفظيّ أن يؤاخى في الكلام بين كلم تتماثل في موادّ لفظها

[1]- حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص:198.
[2]- المصدر السابق، ص:198
[3]- المصدر نفسه ، ص:199.

أو في صيغها أو في مقاطعها فتحسن بذلك ديباجة الكلام. وربّما دلّ بذلك في بعض المواضع، أوّل الكلام على آخره. ومن ذلك وضع اللّفظ إزاء اللّفظ الذّي بين معنيهما تقارب وتناظر من جهة ما لأحدهما إلى الآخر انتساب وله به علقة، وحمله عليه في التّرتيب، فإنّ هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالا بأوّله على آخره"[1].

فهنا يشير إلى أنّ الانسجام الصّوتيّ أيضا يكون بتماثل كلم التّركيب في موادّ لفظها أو في صيغها أو في مقاطعها،إذ بهذا تحسن ديباجة الكلام.

وأيضا من الانسجام الصّوتي عنده اقتران الألفاظ لما تحمل من انتساب أو تقارب أو تناظر أو ترابط من جهة المعنى، فهذا ممّا يزيد الكلام حسن ديباجة وبالتّالي انسجاما.

ويقول القرطاجنّي" ومن ذلك ألّا يزاد على قدر الحاجة من كلّ ما يستحسن وألّا يجعل التّمادي عليه

سببا إلى السّآمة له والغرض عنه. "[2] ،أي ألّا يغالى في اقتناء كلّ لفظ حسن أثناء التّركيب، ممّا سيحدث التّكلّف. وبالتّالي عدم الانسجام.

ومن إشارات حازم حول الانسجام الصّوتيّ قوله :"ويستحسن في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة، فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصّيغ والائتلاف والاستعمال المتوسّط. والطّلاوة تكون بائتلاف الكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التّأليف ربّما خفي سببه وقصّرت العبارة عنه. والجزالة تكون بشدّة التّطالب بين

[1]- حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص:199
[2] - المصدر نفسه ، ص:199

كلمة وما يجاورها وبتقارب أنماط الكلم في الاستعمال."[1] وقد سبق الإشارة إلى هذه المظاهر.

كما أشار حازم أيضا إلى الانسجام الصّوتيّ في سياق حديثه عن كيفيّة نظم الفصول وترتيبها فجعلها في أربع قوانين، والتّي منها:"استجادة موادّ الفصول وانتقاء جوهرها: فيجب أن تكون الفصول متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطّراد غير متخاذلة النّسج غير متميّز بعضها عن بعض التميّز الذّي يجعل كلّ بيت كأنّه منحاز بنفسه...وينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسبا للغرض. فتعتمد الجزالة في الفخر...وأن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطّول والقصر ."[2]

– أي الانسجام الصّوتي يتحقّق في الفصول بأن تكون:

– متناسبة المسموعات أي متوازنة إيقاعيّا

– غير متفاوتة النّسج أو متباينة في أجزاءها.

– أن تناسب أجزاء الفصل الغرض،كاختيار الألفاظ الجزلة في الفخر.

– أن تكون الفصول معتدلة المقادير.

أمّا بالنّسبة للانسجام الصّوتي الإيقاعيّ، فيرى القرطاجنّي أنّه ميزة و خاصيّة وسمت كلام العرب من خلال تماثل مقاطع أشعارهم في الأسجاع والقوافي[3]، كما كان للعرب وعي بهذا المظهر الانسجاميّ من خلال تصرّفهم في بحور الشّعر لما

[1] ـ القرطاجنّي، منهاج البلغاء ، ص:200-201
[2] ـ المصدر السّابق ، ص :206
[3] ـ ينظر، نفسه ، ص:107- 108

يلائم شعرهم وغرضهم ولما رأوا في بعض هذه البحور من ثقل أو تكرّر فاصلة أو وقوعها في النّهايات.[1]

ويقول القرطاجنّي بعد ما فصّل في كيفيّة التّصرّف في البحور الشعريّة بما يحقّق انسجامها وفق تحليل عروضيّ في منتهى الدقّة،أنّه "كلّما وردت أنواع الشّيء وضروبه مترتّبة على نظام متشاكل وترتيب متناسب عجيب، كان ذلك أدعى لتعجيب النّفس وايلاعها بالاستمتاع من الشّيء، ووقع منها الموقع الذّي ترتاح له."[2]

2 . المبادئ التّركيبيّة:

يقول حازم في انسجام تركيب الفصول داخل القصيدة:" واعلم أنّ الابيات بالنّسبة إلى الشّعر المنظوم نظائر الحروف المقطّعة من الكلام المؤلّف، والفصول المؤلّفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلّفة من الحروف، والقصائد المؤلّفة من الفصول العبارات المؤلّفة من الألفاظ، فكما أنّ الحروف إذا حسنت، حسنت الفصول المؤلّفة منها إذا رتّبت على ما يجب ووضع بعضها من بعض على ما ينبغي، كما أنّ ذلك في الكلم المفردة كذلك. كما يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب"[3]

ومقصد حازم من الفصل "بيتان في غالب الأحيان إلى حدود أربعة تتضافر لأجل إيصال معنى معيّن"[4] ويمثّل أبيات الشّعر المنظوم بالحروف المقطّعة من الكلام المؤلّف، فالحرف لا يحمل معنى مستقلّ إلّا إذا أُلّف بينه وبين باقي الحروف، فكذلك البيت الشّعريّ إنّما يأخذ معناه بعلاقته مع الأبيات الأخرى، فاستقلال بيت

[1] ـ ينظر، حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص:220
[2] ـ نفسه، ص:221
[3] ـ السابق ، ص:259
[4] ـ كلاتمة خديجّة، قراءة لسانيّة في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنّي، مجلّة قراءات العدد الرابع، جامعة بسكرة،2012م، ص:220

شعريّ عن غيره من الأبيات يفقد القصيدة وحدتها الموضوعيّة وبالتّالي انسجامها، وبما أنّ الكلمة أو المفردة مؤلّفة من حروف منسجمة لأداء معنى معيّن، فكذلك الأبيات لابدّ أن تكون متناسبة ومترابطة.[1]

ويرى حازم أنّ "الأقاويل الشّعريّة يحسن موقعها في النّفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها وتركّب التّركيب الملائم المتشاكل وتستقصي بأجزاء العبارات التّي هي الألفاظ الدّالة على أجزاء المعاني".[2]

فهو يشترط في حسن التّراكيب الشّعريّة مراعاة اختيار الألفاظ المناسبة لمعناها وانتقاء الأفضل منها، ثمّ تركيبها تركيبا متلائما منسجما كانسجام حروف الألفاظ أو كما قال (أجزاء العبارات) الدّالّة على أجزاء المعاني. فيجعل بذلك القصائد المؤلّفة من الفصول نظائر العبارات المؤلّفة من الألفاظ.

وفي نفس السّياق يقول حازم "واعلم أنّ منزلة حسن اللّفظ المحاكى به وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصّور التّي يمثّلها الصّانع"[3] فهوّ يؤكّد على ضرورة إحكام تأليف القول، كما يحسن الصّانع تأليف بعض صوره إلى بعض ويناسب بين أوضاعها.

ولا يتحقّق الانسجام التّركيبيّ إلّا بحسن اختيار الألفاظ وحسن تركيبها، لينعكس هذا الإحكام اللّفظيّ على الإحكام التّركيبيّ، وهذا ما يؤكّد قوله "ولذلك كانت الحاجة في هذه الصّناعة إلى اختيار اللّفظ وإحكام تأليفه أكيدة جدّا"[4] .

---

[1]- ينظر، أبي الحسن حازم القرطاجنّي، المصدر السّابق، ص: 218

[2]- المصدر نفسه، ص:104.

[3]- نفسه، ص:113

[4] - نفسه، ص:114

وبعد أن تحدّث القرطاجنّي في غير موضع عمّا يشين الشّعر ويهجنه من جهة تركيب المعنى، يقول :"وإنّما الموضع المؤثر له وضع الشّيء الموضع اللّائق به، وذلك يكون بالتّوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكن بعضها في موضعه من الكلام متعلّقا ومقترنا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك".[1]

فتوافق الألفاظ مع المعاني والأغراض، يكون بحسن اقتران وانسجام بعضها إلى بعض.

3 . المبادئ الدّلاليّة:

فأمّا الانسجام الدّلالي أو الكمال في المعاني كما يقول القرطاجنّي:"فباستيفاء أقسامها واستقصاء متمّماتها وانتظام العبارات جميع أركانها حتّى لايُخلّ من أركانها بركن ولا يغفل من أقسامها قسم ولا يتداخل بعض الأقسام على بعض"[2]

وبالتّالي يجب أن يكون تقسيم المعنى على البيت تامّا صحيحا، ومن ذلك قول الشمّاخ:

مَتَى ما تقع أرساغهُ مطمئنّة على حَجَر يرفضّ أو يتدحرجِ.

لأنّ الحجر إذا كان رخْوا ارفضّ وإذا كان صلبا تدحرج. وممّا يزيد المعنى صحّة وكمالا وقوع الحافر على الأرض وقوع اطمئنان واعتماد. فلو أضاف أو يسوخ الحجر فلن يصحّ المعنى لأنّ الحافر (الأقدام) لا تطمئنّ في الأرض الرّخوة.[3]

أمّا ما انتظمت فيه العبارة جميع أركان المعنى واستوفت غايات المقصد قول الشّاعر:

أناس إذا لم يقبل الحقّ منهم ويُعطَوهُ، عاذوا بالسّيوف القواضبِ.

---

[1]- القرطاجني، المصدر السابق ، ص:135

[2]- المصدر نفسه، ، ص:136

[3] - ينظر، نفسه، ص:137

فاستوفى الشّاعر ركني المعنى بقوله: يقبل الحقّ منهم ويعطوه، فتمّ المعنى وكمل.

وامّا ما ورد فيه المعنى مستوفى من جميع اركانه متمّما من جميع جهاته، قول ابن الرّوميّ:

عفَّى كلوم زماني ثمَّ قلّمه عنّي فأحفاه ثمّ اقتصّ ما اجترحا.[1]

يقول حازم من أنّ هذا البيت لم يغادر ركنا من أركان المعنى إلّا ذكره، فتمّ المعنى وجاء في نهاية البلاغة. إلّا أنّ القرطاجنّي لم يبيّن سبيل هذا الانسجام لغويّا. وإنّما اكتفى بوصفه من ناحية المعنى.

ومن شروط الانسجام الدّلاليّ عند حازم :

- ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها وبعض: فيجب ترتيب الفصول على درجتها في الأهميّة، وكذا يستحسن تقديم الفصول القصار على الطّوال.[2] أي ترتيب المعنى الأهمّ فالمهمّ...
- ومنها ترتيب ما يقع في الفصول: فيجب أن يبدأ بالمعنى المناسب لما قبله، ويجب أن يردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل كأن يكون مقابلا له أو مسببا عنه أو تفسيرا له أو محاكى بعض ما فيه ببعض ما في البيت الآخر أو غير ذلك من الوجوه التّي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر.[3]

وإذا ما تأمّلنا تصوّر القرطاجنّي لكيفيّة بناء الفصول وشروط نظمها داخل القصيدة أدركنا بذلك وعيه للمعايير التّي تحقّق الانسجام، فتصوّره يضمن التّتابع

[1] ـ ينظر، حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء ، ص:138
[2] ـ ينظر، المصدر السابق ،ص:260-261
[3] ـ ينظر، المصدر نفسه ، ص:261

التّدريجيّ للمعاني في سياق الكلام أين يتمّ فيه الرّبط بين المتصوّرات من خلال علاقات منطقيّة كالسّببيّة والغائيّة والقياسيّة.[1]

ويشير القرطاجنّي من أنّه قد يختم الفصل بطرف من الفصل الذّي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه.[2] وهنا يشير إلى مبدإ هامّ من مبادئ الانسجام وهو المناسبة بين المعاني. وقد فصّلنا القول فيه سابقا.

- . في وصل بعض الفصول ببعض فالتّأليف في ذلك على أربعة أضرب:[3]

أ . ضرب متّصل العبارة والغرض.

ب . ضرب متّصل العبارة دون الغرض.

ج . ضرب متّصل الغرض دون العبارة.

د . ضرب منفصل العبارة والغرض.

فأمّا المتّصل الغرض والعبارة وهوّ الذّي يكون فيه لآخر الفصل بأوّل الفصل الذّي يتلوه علقة من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة. وهوّ أشّد أنواع الانسجام وذلك بأن يكون أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التّي في الآخر من جهة الإسناد والرّبط.

وأمّا الضّرب الثّاني المتّصل الغرض المنفصل العبارة : وهو الذّي يكون في أوّل فصله رأس كلام، ويكون لذلك الكلام علقة بما قبله من جهة المعنى. وغالبا ما يحمل هذا الرّأس معنى تعجيبيّ أو دعائيّ. وهو أفضل الضّروب لكون النّفوس تنبسط ويتجدّد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء.

---

[1] ـ محمّد خطابي، لسانيات النصّ، ص:153

[2] ـ محمد خطابي، المرجع السابق، ص:262

[3] ـ المرجع نفسه، ص:262

وأما ما كان منفصل الغرض متّصل العبارة فإنّه كما قال القرطاجنّي منحطّ عن الضّربين الذّين قبله.

وأمّا الضرب الرّابع وهو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب.وهذا ممّا لا انسجام فيه ولا تلاحم.

ومن دلائل وعي حازم بالعلاقات الدّلاليّة التّي تحقّق الانسجام الدّلالي قوله :"ومن القصائد ما تكون فصولها متضمّنة معاني مؤتلفة بين الجزئيّة والكليّة، وهذا هو المذهب الذّي يجب اعتماده لحسن موقع الكلام به في النفس".[1]

وأيضا قوله:"وأحسن ما يكون عليه هيئة الكلام في ذلك أن تصدّر الفصول بالمعاني الجزئيّة وتردف بالمعاني الكليّة على جهة تمثّل بأمر عامّ على أمر خاصّ أو استدلال على الشّيء بما هو أعمّ منه"[2]. حيث يبعث هذا النّظم ائتناسا واستجماما في النّفوس.

وقد خصّ القرطاجنّي أبو الطيّب المتنبّي بتحليل قصيدته المشهورة والتّي مطلعها:

أغالبُ فيكَ الشّوقَ والشّوقُ أغلبُ وأعجبُ من ذا الهجرِ،والوصلُ أعجبُ.

فيحلّلها القرطاجنّي ويراها في قمّة التناسب والانسجام. ويرى فيها انعكاسا لجميع المبادئ التّي رسمها من أجل انسجام المعاني.[3]

فالذّي يجب اعتماده عند الخروج من غرض إلى غرض أن يكون الكلام غير منفصل بعضه عن بعض، وأن يحتال فيما يصل بين حاشيتي الكلام ويجمع بين

---

[1] ـ القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص:266

[2] ـ المصدر السابق، ص: 267

[3] ـينظر، المصدر نفسه،ص: 268ـ وما بعدها

طرفي القول حتّى يلتقي طرفا المديح أو النّسيب أو غير ذلك من الأغراض المتباينة التقاء محكما فلا يختلّ نسق الكلام ولا يظهر التّباين في أجزاء النّظام.[1]

والأمور التّي يجب اعتمادها في التّخلّص من غرض إلى آخر هي التّحرّز من انقطاع الكلام ومن التّضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام وقلّة تمكّن القافية والنّقلة بغير تلطّف...والتّلطّف فيما يوقع الكلام أحسن مواقعه ويجريه على أقوم مجاريه.[2]

وفي هذا سرد للمظاهر التّي تسقط انسجام الكلام، ويرى حازم من أنّ التّلطّف هو ما يكسب الكلام انسجاما وتلاؤما.

وكان البحتري ممّن أجاد التّخلّص في قوله:

شقائق يحملن النّدى فكأنّـــه دموع التّصابي في خدود الخرائد.

كأنّ يد الفتح بن خاقان أقبلت تليها بتلك البارقات الرّواعـــد.

ويذهب القرطاجنّي مذهب الحسن سهل بن مالك والذي يرى:"إنّ من المعاني المعبّر عنها بالعبارات الحسنة ما تدرك له مع تلك العبارة حسنا لا تدرك له في غيرها من العبارات..."[3]

حيث يقول شيخنا: "وقد يرد من حسن المأخذ ما لا يقدر أن يعبّر الوجه الذّي من أجله حسن ولا يعرف كنهه، غير انّه مأخذ حسن في العبارة من حيث إنّك إذا حاولت تغيير العبارة عن وضعها...وجدت حسن الكلام زائلا بزوال ذلك الوضع

[1] ـ ينظر، القرطاجنّي ،المصدر السابق ، ص:287-288
[2] ـ ينظر، نفسه ، ص:290
[3] ـ ، نفسه، ص:336

والدّخول إليه من غير ذلك المدخل."[1] ويمثّل القرطاجنّي لذلك بقول أبي سعد المخزوميّ:

ذنبي إلى الخيل كرّي من جوانبها إذا مشى اللّيث فيها مشيَ مُختتل.

"فإنّك لو غيّرت صيغة هذا البيت وأزلتها عن موضعها، فقلت مثلا :(كم أذنبت إلى الخيل بكرّي من جوانبها) ذّي أو غيّرته غير هذا التّغيير لم تجد له من حسن الموقع من النّفس، ماله من صيغته ووضعه الذّي وضعه عليه المخزوميّ"[2]

.العلاقات الدّلاليّة:

ولقد تطرّق إليها حازم بشيء من الإيجاز. ومن ضمن العلاقات التّي اعتبرها ضروريّة في تماسك الفصول هيّ :

- ✓ **. علاقة الجزء والكلّ:**

وقد خصّ حازم هذه العلاقة بشيء من التّحليل مع الاستشهاد، يقول فيها: "ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها أن يضمّنها معاني جزئيّة تكون مفهوماتها شخصيّة، ومنها ما يقصد في فصولها أن تتضمّن المعاني الكليّة التّي مفهوماتها جنسيّة أو نوعيّة، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المتضمّنة إيّاها مؤتلفة بين الجزئيّة والكليّة" [3]

وبناء على هذا المقول فالقصائد عند حازم تنقسم إلى ثلاث أصناف:

. قصائد تعتمد في بنائها على معان جزئيّة.

---

[1] ـ حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ص: 335
[2] ـ نفسه ، ص:335
[3] ـ نفسه ص: 290

. قصائد معتمدة على معان كليّة.

. قصائد تتراوح بين الجزئيّة والكليّة.

والعلاقات التّي عدّدها حازم لا تظهر في المستوى السّطحي للنصّ (الشّكلي) وإنّما تحتاج إلى "قوّة وإدراك ونفوذ إلى النصّ من مسالك عدّة" [1]، كما عبّر حازم عن موقفه من البناء الذّي يحوي علاقة (الجزء والكلّ) بقوله: "وأحسن ما يكون عليه هيئة الكلام في ذلك أن تصدر الفصول بالمعاني الجزئيّة وتردف بالمعاني الكليّة على جهة تمثيل بأمر عامّ على أمر خاصّ أو استدلال على الشّيء، بما هو أعمّ منه أو نحو ذلك" [2]

ويسوق مثالا للمتنبّي :

ويوم كليل العاشقيـن كمُنتُه أراقب فيه الشّمس أيّان تغرب.

وعيني إلى أذنيَّ أغرّ كأنّه من اللّيل باق بين عينيه كوكب.

شققت به الظّلماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيــه مرارا فيلعب.

وأصرع أيّ الوحش قفّيتـه به وأنزل عنه مثلـُه حيـن يركب.

وما الخيل إلّا كالصّديق قليـله وإن كثرت في عين من لا يجرّب.

ويلحق حازم بهذه الأبيات تعليقه حولها بقوله:" ثمّ اطّرد كلامه في هذا الفصل في وصف الفرس، وانتقل فيه من معان جزئيّة إلى معان كليّة، يمكن معها أن يعتقد

[1] ـ محمّد خطابي، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:158
[2] ـ القرطاجنّي، نفسه، ص: 295

في الكلام أنّه فصل واحد، وأن يعتقد أنّه فصلان، ويكون رأس الفصل قوله: وما الخيل إلّا كالصّديق قليله..."[1]

- ✓ **تطبيق مبدأي التّسويم والتّحجيل :**

ولزيادة إحكام البناء الدّلالي للقصيد يقترح حازم على الشّعراء أن يقوموا بإجرائي (التّسويم والتّحجيل)، وبحديثه عن هذين العنصرين يكمل حازم تصوّره لبناء القصيدة الشّعريّة وما ينبغي أن يسلك في بنائها مبدأ ووساطة ونهاية.[2]

وبهذا المبدأ يكون حازم قد قدّم مجموعة من الأوصاف التّي ينبغي أن تتوافر في مبدأ الفصل وفي خاتمته، والتّي توجب بدورها دلالة رأس الفصل على الفصل برمّته، وتعضيد نهايته لمعناه، وهذا يصوّر لنا مدى إلحاح حازم على الاعتناء بالاتّصال بين الفصول، وهذا من خلال قوله: "وإذا اتّجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض على النّحو الذّي يوجد التّابع فيه مؤكّدا لمعنى المتبوع ومنتسبا إليه من جهة ما يجتمعان في غرض ومحرّكا للنّفس إلى النّحو الذّي حرّكها الأوّل أو إلى ما يناسب ذلك، كان ذلك أشدّ تأثيرا في النّفوس وأعون على ما يراد من تحسين موقع الكلام منها"[3]

ويؤدّي هذا الشّرط الاتّصالي عند حازم إلى أثر جمالي لدى السّامع أو القارئ من خلال : تأكيد المعنى الثاني للمعنى الأوّل، وانتساب المعنى الثّاني للأوّل من ناحية الغرض.

وقد ألحق حازم بهذه الشّروط مثالا توضيحيّا من رؤوس فصول لقصيدة المتنبّي في مدح كافور:

---

[1] ـ القرطاجنّي،المصدر السابق، ص: 295
[2] ـ محمّد خطابي، لسانيات النصّ، ص: 159
[3] ـ نفسه، ص:268

أغالب فيك الشّوق والشّوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب.

يقول حازم من أنّ المتنبّي ضمّن هذا البيت من الفصل الأوّل تعجيبا من الوصل الذّي لا يعقبه وصلُ.[1]

ثمّ أكّد المتنبّي التعجيب في البيت الثاني من هذا الفصل:

أما تغلط الأيّـام فيّ بأن أرى بغيضاً تُنـائي أو حبيبا تُقرّبُ.

ثمّ افتتح الفصل الثّاني بالتّعجّب من الرّحيل:

وللّه سيـري ما أقلّ تَئيّةً عشيّـة شرقيّ الحَدالَى وغرّبُ.

فكان هذا الاستفتاح كما رأى حازم مناسبا للبيتين المتقدّمين من جهة التّعجّب وذكر الرّحيل، ثمّ بيّن حاله وحال من ودّعه عند الوداع.[2]

ثمّ استفتح المتنبّي الفصل الثالث بتذكّر العهود السّارّة وتعديدها بقوله:

وكم لظلال اللّيل عندك من يدٍ تخبّر أنّ المانَويّةَ تَكذِبُ .

ثمّ افتتح الفصل الرّابع بتذكّر الحال التّي حاذر فيها الرّقبة من سيف الدّولة، فشبّه ذاك اليوم

بليل العاشقين في الطّول من خلال قوله[3]:

ويوم كليـل العاشقيــن كمَنتُه أراقب فيه الشّمسَ أيّـان تَغرُبُ.

وأمّا الفصل الخامس فقد استفتحه بذمّ الدّنيا وما تؤول إليه أحوالها .

---

[1] ـ ينظر، المصدر السابق، ص: 268- 269

[2] ـ ينظر، المصدر السابق، ص:269

[3] ـ نفسه، ص:269

لحى الله ذي الدّنيا مُناخُها لراكبٍ فكلّ بعيد الهمِّ فيها معذّبِ.[1]

وهذا التّماسك الذّي تبديه أبيات هذه القصيدة جعلت حازما يعلّق عليها قائلا:" فاطّرد له الكلام فيذلك أحسن اطّراد، وانتقل في جميع ذلك من الشّيء إلى ما يناسبه وإلى ما هو منه بسبب ويجمعه وإيّاه غرض. فكان الكلام بذلك مرتّبا أحسن ترتيب ومفصّلا أحسن تفصيل وموضوعا بعضه من بعض أحسن وضع"[2]

فالتّسويم حسب ما سبق يؤتى به للإنباء أو التّلميح بغرض القصيدة، ويكون في كلّ رأس من فصول القصيدة، أي في البيت الأوّل من كلّ فصل، والتّسويم يحقّق بكلّ تأكيد الانسجام الدّلالي من خلال الرّبط المعنوي بين رؤوس فصول القصيدة.

أمّا التّحجيل فهو تذييل أواخر الفصول بأبيات حكميّة واستدلاليّة، ترمي إلى جملة معاني القصيدة أو الفصول إمّا في كلّيتها إن كانت متّحدة المعاني أو في أجزائها إن كانت منفصلة المعاني، ويؤتى بالتّحجيل قصد التّصديق أو الاقناع.[3]

ويرى حازما من أنّ الشاعر زهيرا بن أبي سلمى قد "سبق إلى وضع المعاني المذهوب بها مذهب الحكمة والتّمثّل في نهايات الفصول ومقاطع القول فيها وسبك القول فيها أحسن سبك زهير، نحوُ ما تمثّل به في آخر مذهّبته:

أمِن أُمّ أوفى دمنة لم تكلّم.

ونحو ما ختم به آخر فصل من قصيدته اللّاميّة، وذلك في قوله:

فما يك من خير أتوه فإنّما توارثــه آباء آبائــهم قبلُ

وهل ينبت الخطيّ إلّا وشيجُه وتُغرس إلّا في منابتها النّخلُ."[1]

---

[1] ـ القرطاجني: المصدر السابق، ص:269

[2] ـ نفسه، ص:270

[3] ـ ينظر، نفسه، ص:270- 271

خلاصة:

من خلال محاولتنا الكشف عن مبادئ الانسجام في "**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**" نخلص إلى استنتاجات مفادها :

. أن فكر القرطاجنّي حمل وعيا واضحا بظاهرة الانسجام النصّي ، وذلك من خلال جملة المبادئ المصنّفة ضمن هذا الفصل.

. تتحقق مبادئ الانسجام النصّي عند حازم القرطاجنّي:

. صوتيّا بأن تكون الفصول:

. متناسبة المسموعات أي متوازنة إيقاعيّا

. غير متفاوتة النّسج أو متباينة في أجزاءها.

. أن أجزاء الفصل مناسب للغرض كاختيار الألفاظ الجزلة في الفخر .

. تركيبيّا، من خلال:

. مراعاة اختيار الألفاظ المناسبة لمعناها وانتقاء الأفضل منها.

ملائمة تركيب الألفاظ أو (أجزاء العبارات) الدّالّة على أجزاء المعاني.

أن تكون الفصول معتدلة المقادير.

دلاليّا ، من خلال :

. تقسيم المعنى على البيت تقسيما تامّا صحيحا.

---

[1] ـ المصدر السابق ،ص:271- 272

. استيفاء المعنى جميع أركانه، متمّما من جميع جهاته.

. احتواء العبارة جميع أركان المعنى.

. ترتيب الفصول على درجتها في الأهميّة.

. ترتيب ما يقع في الفصول بواسطة علاقات منطقيّة كالسببيّة والتفسيريّة...

. تقديم معاني الفصول الجزئيّة ثمّ تلحق بالكليّة.

. براعة التّخلّص من غرض إلى آخر بالتّحرّز من انقطاع الكلام ومن التّضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام وقلّة تمكّن القافية ،والنّقلة بغير تلطّف.

. التلطّف في الانتقال بين الأغراض.

. اختيار الألفاظ بما يلائم المعاني.

. كما يتحقّق الانسجام الدلالي من خلال العلاقات الدّلاليّة.

. تطبيق مبدأي التّسويم والتّحجيل.

الخاتمة

بعد هذه المحاولة التّي نحسبها مهمة وشيّقة في سبيل الكشف عن المبادئ التّي رسمها علماؤنا العرب الأجلّاء في كيفيّة تحقّق الانسجام النصّي وملامح حضوره في الأعمال الأدبيّة الشّعريّة والنّثريّة على السّواء. سنحاول من خلال هذه الخاتمة أن نجمل جميع ما تناولنا في نقاط حسب الفصول.

فالفصل الأوّل الذّي عني بالتّأصيل ومحاولة تصنيف آراء المفكّرين البلاغيّين العرب القدامى أسفر عن العديد من النّتائج، والتّي رتّبت حسب مستويات تحقّق الانسجام في العمل الأدبي،

فقد لمسنا في هذا الفصل تفاوتا بين معالجة هذه المستويات من طرف علماء البلاغة.

وقد كان البحث في كيفيّة تحقّق الانسجام الصّوتيّ، ضعيف الورود أو ربّما معدوما في بحوث علماء البلاغة، ونعزو ذلك ربّما لتشعّب مباحث أو تفرع علوم اللغة. فقد اختصّ بهذا المستوى، علماء اللّغة العربيّة، وقد حاولنا تجاوز هذا النّقص، بايراد آراء اللّغويّين حول هذا الأمر، لنأصّل للسّبق العربيّ في طرح هذا الأخير، ولما له من أهميّة في حقل الدّراسات اللّغويّة الحديثة، ولكونه أساس البناء اللّغويّ النصيّ. إلّا أنّ اهتمامات البلاغيّين كانت منصبّة حول كيفيّات الانسجام التّركيبيّ والدّلالي، انطلاقا من اهتمامها بقضيّة اللّفظ والمعنى، والنّظم.

كما لمسنا وعيا بارزا وعميقا بظاهرة الانسجام النصّي لدى علمائنا البلاغيين والنّقديين العرب القدامى.

على الرّغم من غياب المنهجيّة في دراسة الانسجام النصّي في التّراث البلاغي والعربي القديم. وقد حاولنا تدارك هذا الأمر بالتّركيز على مستويات الانسجام النصّي.

كما قاربت مبادئ الانسجام في الفكر البلاغي العربي التّراثي، لمعايير الانسجام النصّي الحديثة.

وحاولنا في الفصل الثاني أن نركّز أو نبحث عن ظاهرة الانسجام على أحد أعلام البلاغة القاضي أبي بكر الباقلاني، حيث لمسنا وضوحا جليّا في اهتمامه بالانسجام النصّي القرآنيّمن خلال محاولة وصف هذا الأخير وكيفيّة وقوعه في الخطاب القرآني.

إلّا أنّ تصّور الباقلّاني للانسجام النصّي لم يكن تصوّرا بعيدا، ونعزو هذا الأخير للصنف القرّائي الذّي وجّه لهم هذا المُؤلَّف.

وقد قاربت مبادئ الانسجام في كتاب إعجاز القرآن للباقلّاني إلى حدّ ما معايير الانسجام في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة.

إلّا أنّ الباقلاني لم يتعمّق في التّحليل اللّغوي لمبادئ الانسجام لديه، وذلك كما أشرنا لطبيعة قرّاء مؤلّفه.

أمّا الفصل الثالث الذّي عني بالبحث في التّأصيل لظاهرة الانسجام في الفكر النّقدي، فقد لمسنا خلاله قصورا من جانب علماءالنّقد ، ونعزو هذا الأمر ربّما لاتّحادالبحوث البلاغيّة والنّقديّة، أو لربّما لوجود علماء بلاغيّين ونقديّين في آن معا.

وحاولنا تدارك ما سبق بأن انتقينا كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجنّي.

فقد لمسنا وضوحا في طرح رؤيتة لكيفيّة وقوع الانسجام في النصّ الأدبي، رغم التّقصير الذّي لمسناه في انسجام المستوى التّركيبي، ونعوز ذلك ربّما لفقدان الفصل الأوّل من كتابه، والذّي عني فيه بدراسة متعلّقات اللّفظ.

ونحسب أن نفتح بجهدنا المتواضع هذا آفاقا جديدة للبحث ربّما من خلال :

- التّعمّق في كلّ مستوى من مستويات الانسجام النصّي

- دراسة ظاهرة الانسجام عند أحد علماء البلاغة والنّقد، الواردين في الفصول النّظريّة.

- دراسة دور النّحو العربيّ في تحقّق الانسجام النّصّي.

– دراسة التناسب النصّي من خلال المحسنات البديعية.

والحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفصح من تكلم وأبان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

ـ "القرآن الكريم برواية حفص".

❁ المصادر:

1- القاضي أبي بكر الباقلّاني، إعجاز القرآن، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، دط، 2013م.

2ـ حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربيّة للكتاب، تونس، 2008م، الطبعة الثالثة.

❁المراجع:

3.أحمد عفيفي: نحو النص، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط1، 2001م.

4.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

5.أحمد مداس : لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2009م.

6. الأزهر زناد : نسيج النص،المركز الثقافي،بيروت،ط1، 1993م.

7ـ ابن أبي الاصبع، تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر ،د د ن، د ط، د ت.

8.الإمام الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصريّة، بيروت،دط، 2005م.

9.براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزّليطي ومنير التريكي،دار الفجر للنشر والتوزيع،دب،ط1، 1997م .

10. تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصريّة، القاهرة، د ط، 1990م،

11. توفيق الفيل، بلاغة التّراكيب (دراسة في علم المعاني)، مكتبة الآداب، القاهرة، دط.

12. جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدار رابطة إبداع الثقافة، بوحيدرن الجزائر، دط،دت.

13.أبي الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسّلام محمد هارون، دارالفكر، دب، دط، دت.،

14. حسن سعيد بحيري، علم لغة النصّ النّظريّة والتّطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م.

15. الخطابي، بيان إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، دط،دت.

16. خلود العموش، الخطاب القرآني (دراسة بين النصّ والسّياق)، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2008م.

17. خليل إبراهيم العطيّة، في البحث الصّوتيّ عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، 1983م.

18. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي، في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، دت .

19 ـ ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، د د ن، د ط،د ت.

20. الرماني، النّكت، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ،دار المعارف، مصر،

21. السّجلماسيّ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب، دت ط3.

22.سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

23. السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن خلدون، الاسكندريّة، دط، دت.

24. شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، الاسكندريّة، ط9،دت.

25. صالح بلعيد، نظريّة النّظم، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2001م.

26. صالح سليم عبدالقادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربيّة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، دت، دط

27. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النّظريّة والتّطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ط1، ج13 .

28 . ابن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، تحقيق عباس عبدالستار، نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 2005م.

29. عبد العاطي غريب علّام :دراسات في البلاغة العربيّة، منشورات جامعة قاربونس، بنغازي، 1996م، ط1.

30 . العبّاس محمد بن يزيد المبرّد، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عظيمة، نشره المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، دط، 1994م.

31.أبو عبيدة معمر بن مثنّى،مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، دط،دت.

32 . أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7 ،1998 م

33. عبد الغني بارة : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005م.

34. أبي الفتح عثمان ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، القصيم، دب، دط، دت.

35. الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1999م

36. عبد القاهر الجرجانيّ، أسرارالبلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983م

37. عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمّد شاكر، ددن، دط، دت.

38. قدامة ابن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السّعادة، مصر، ط 1، 1932م

39. قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، ددن، دط، دت.

40. . الهام أبو غزالة وعلي خليل محمد، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكتب، نابلس، ط1، 1996م.

41. عبدالله بن المعتزّ،البديع،دار الجيل،دب،ط1، 1990م.

42. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت.

43. محمد الشاوش :أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، 2001م، مج1.

44. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005م.

45. محمد بن علي السكّاكي، مفتاح العلوم، ضبط هو علق عليه وكتب هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط 1، 1983م.

46. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2006م،ط2.

47 . محمدعزام : النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001م.

48.أبي محمّد عبداللّه بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيّد أحمد صقر، دار التّراث، القاهرة، ط2، 1973م.

49. مصطفى عبد السّلام أبو شادي، الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة، دت، دط.

50 .ابن منظور، لسان العرب، مج12 ،دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2003م.

51. نصر حامد أبو زين، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط7، 2005م .

52.أبي هلال العسكري، الصّناعتين (الكتابة والشّعر)، المكتبة العصريّة، بيروت، دط،1419هـ.

❁الرسائل والمذكرات:

53. أحمد حسّاني، (الإيقاع وعلاقته بالدّلالة في الشّعر الجاهلي)، (رسالة دكتوراه دولة)، غير منشورة، قسم اللغة العربيّة وآدا)ها، جامعة الجزائر، 2005.2006م

54. جنان منصور كاظم الجبّوري، (التّطوّر الدّلالي للألفاظ في النصّ القرآني) دراسة بلاغيّة، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربيّة، جامعة بغداد، غير منشورة، 2005م.

55. عبد الخالق فرحان شاهين، (أصول المعايير النصيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب)،(رسالة ماجستير)، غير منشورة، جامعة الكوفة، قسم اللغة العربيّة.

56. شعيب محمودي: (بنية النص في سورة الكهف)، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009م.

57. عبد الله أحمد بانقيب، (مناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرمّانيّ إلى عبد القاهر الجرجانيّ)، رسالة دكتوراه، غيرمنشورة، 2009/2007م.

58. نور لخلف، (الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور نموذجا)، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2007.2006م.

❁.المجلات :

59. الطيب العزالي قواوة، الانسجام النصّي وأدواته، مجلّة المخبر، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012م

60. عاصم شحاده علي، مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، 2009م.

61. كلاتمة خديجّة، قراءة لسانيّة في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنّي، مجلّة قراءات العدد الرابع، جامعة بسكرة، 2012م.